مكتبة المحبة



شرح
الصلاة الربانية

للقديس غريغوريوس النيسى

أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء وعلى الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ إلينا ولا تدخلنا التجارب لكن نجنا من الشرير آمين

تقديم صاحب النيافة
الحبر الجليل الأنبا
غبريال
أسقف بني سويف

ترجمة
دكتور عصام سامى زكى
دكتوراه فى اللاهوت

شرح
الصلاة الربانية
للقديس غريغوريوس النيسى

تقديم

صاحب النيافة الحبر الجليل

الأنبا غبريال

أسقف بنى سويف

ترجمة

دكتور عصام سامى زكى

دكتوراه فى اللاهوت

طبع بشركة هارمونى للطباعة

ت ٦١٠٠٤٦٤ -فاكس ٦١٠٠٧٣٠

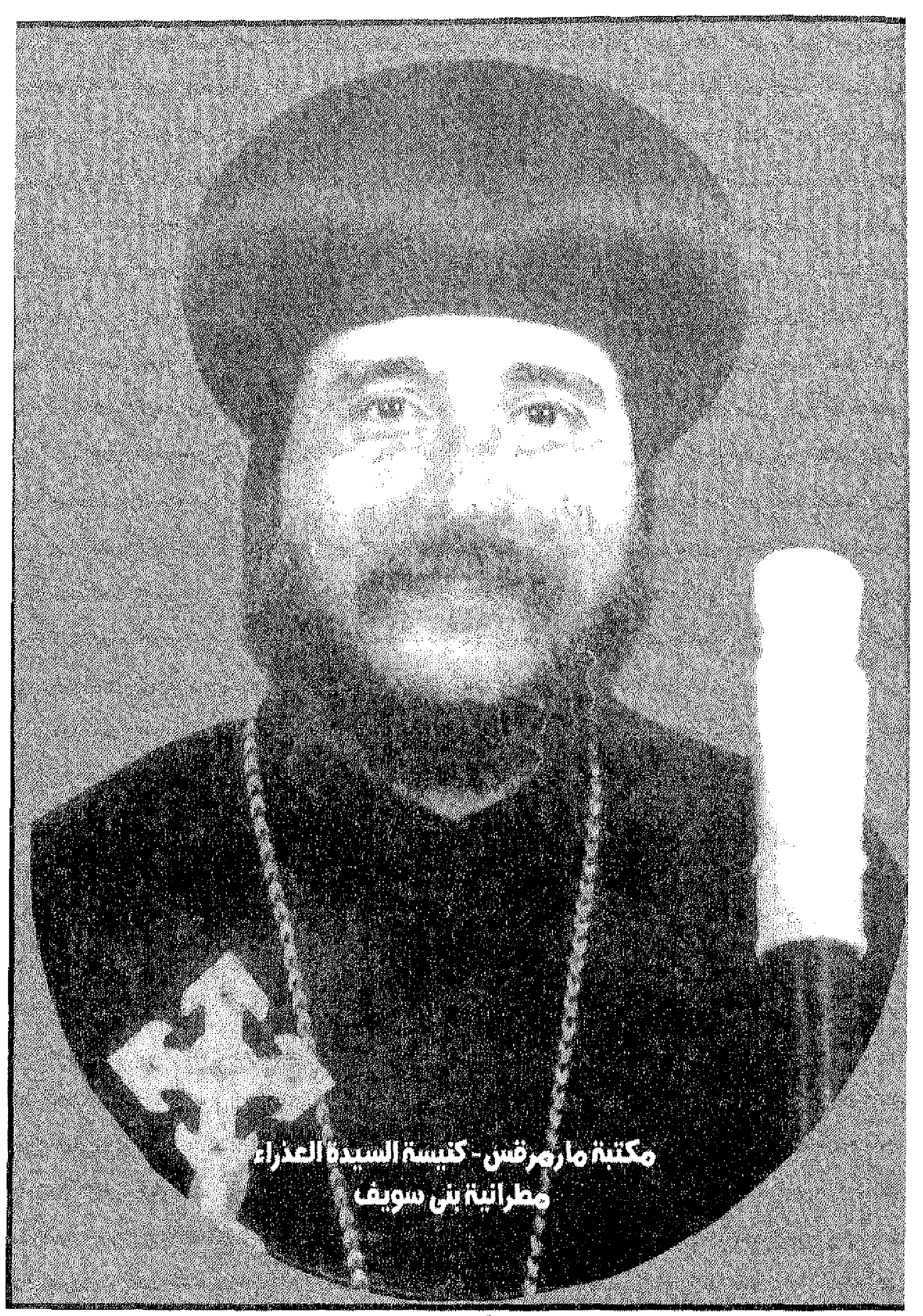
رقم الإيداع بدار الكتب ١٠١١٣ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى 977-12-0677-x



صاحب القداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الأنبا غبريال

إهداء

إلى صاحب النيافة الحبر الجليل

الأنبــا غبــريــال

أسقف بنى سويف

بمناسبة تجليسه

على كرسى بنى سويف وتوابعها

تقديم

لنيافة الحبر الجليل الأنبا غبريال

أسقف بني سويف

إذا كانت الصلاة هى الوسيلة التى من خلالها نتحدث مع الله، غايتنا فيها نسبح الله وبها نطلب الله وبها نطلب من الله، كما قال الرسول "لتعلم طلباتكم لدى الله" (فى ٤ : ٦). فالصلاة الربانية هى أساس كل صلاة. فلا نبدأ أى صلاة بدونها ولا نبدأ أى طقس بدونها، ولا يخلو سر من أسرار الكنيسة من الصلاة الربانية.

والحديث عن الصلاة الربانية وأهميتها كثير جداً، ولكن أهم ما فى هذا أنها حسب مشيئة الله، فالسيد المسح هو الذى علمنا أن نصلى... متى صليتم فقولوا..." (لو ١١ : ١ - ٢). وهذا هو سر قوة وجمال هذه الصلاة.

وتجد عزيزى القارئ هذا الكتاب فى جزئه الأول: كلمة عن القديس غريغوريوس النيسّى الذى كان أسقفاً ومعلماً جليلاً، وتجد فى جزئه

الثانى: كلمة عن الصلاة وفوائدها، وبعد ذلك تجد شرحاً جميلاً عن الصلاة الربانية لهذا العظيم القديس غريغوريوس النيسّى.

وتجد هذا الكتاب مُترجم بصورة روحية جميلة تجذب القارئ، فالمترجم حاصل على الدكتوراه فى اللاهوت، وهذا جعله يُخرج هذا الكتاب بصورة روحية صحيحة، وقد انتقى ألفاظه فى إطار روحى جميل زاد معانيه قوة وجمالاً.

الرب يجعل هذا العمل نافعاً لكثيرين ويعوض كل من له تعب فيه...

غبريال

أسقف بنى سويف

٢٠٠٢/٢/١٤

مقولات فى الصلاة

للقديس غريغوريوس النيسى

قد تمت الترجمة طبقاً للنص القديم فى المجلد الثامن لكتاب "آباء الكنيسة اليونانية" (EIIE)، إصدار تسالونيك ١٩٨٩، وكذلك بالاستعانة بالترجمة عن اللغة اليونانية الحديثة للأرشمندريت باجراتيوس بروساليس، إصدار الخدمة الرسولية لكنيسة اليونان

الطبعة الأولى ١٩٨٣.

الطبعة الثانية ١٩٨٩.

وقد تم وضع عناوين للفقرات للتسهيل

القديس غريغوريوس النيسى

مقدمة :

قبل أن ندخل فى الترجمة العربية للنصوص اليونانية لأعمال القديس غريغوريوس النيسى التى سنستهلها بموضوع الصلاة الربانية لما لهذا الموضوع من أساسيات هامة، وجدنا أنه من الضرورى أن نقوم بإلقاء نظرة عامة عن حياة الأب غريغوريوس النيسى وأعماله.

حياته :

القديس غريغوريوس النيسى هو واحد من كبار اللاهوتيين الكابادوكيين، وهو الأخ الثالث للقديس باسيليوس الكبير.

ولد على ما يعتقد حوالى عام ٣٣٥م، فى مدينة قيصرية الجديدة ببلاد بنطس (١). من والديه باسيليوس وأماليا، وكانا أيضاً من أسرة ليست فقط ممن تبعت الإيمان بالمسيح بل قدمت له الشهداء، وكمثال على ذلك نذكر الشهيد والد آماليا. أما فيما يخص حياته فإن المعلومات

(١) آسيا الصغرى.

المتوافرة لدينا قليلة ومتفرقة سواء فى أعماله أو فى رسائله (١) ومعلومات أخرى يمكن أن تجدها أيضاً فى أعمال باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتى الذين عاشوا فى حقبة واحدة وجاهدوا معاً.

إن القارئ أو الدارس لأعمال هذا القديس سيتأكد بنفسه من عمق واتساع ثقافته وحبه للغة اليونانية التى جاءت نتيجة دراسته العميقة. ومنابع إيمانه كانت الكتاب المقدس والمعلمون والرسل والأنبياء ومصادر أخرى، إذ يقول "المعلمون الذين عرفتهم هم بولس الرسول ويوحنا والرسل الآخرون والأنبياء" (٢).

ومما لا شك فيه أنه قد تابع الدراسة لسنوات طويلة فى مدارس فلسفية مختلفة ولكن ليست لدينا معلومات كافية عن هذه المدارس بالتحديد.

---

(١) سنشير إليها فيما بعد.
(٢) أنظر رسالة رقم ١٣ (P.C. 46, 1048).

يعد باسيليوس الكبير أيضاً أحد معلمى غريغوريوس النيسى إذ يدعوه الأخير "أبى ومعلمى" (١) . ويلقبه الأول "تلميذاً للحقيقة" (٢) . تعلما معاً "كلمة الله" (٣) .

وكان لباسيليوس تأثير كبير على غريغوريوس حيث أخذ عنه طريقة التعليم التى تميز بها فيقول "حيثما وجدت خدمة الكلمة فهناك تجد باسيليوس حيث الحق، ونحن قد تعلمنا الحقيقة من باسيليوس" (٤) .

وفى إحدى الرسائل التى بعث بها إلى صديقه لبانيوس معلم القديس باسيليوس يشير فيها بأن باسيليوس هو معلمه المباشر فيقول "على الرغم من أن باسيليوس كان موجهاً لى وحريصاً على ثقافتى لكنه قد استوعبها وحصل عليها من كنوز حكمتك" (٥) .

ويظهر أن غريغوريوس النيسى قد تذبذب قليلاً فى تحديد مسيرة حياته، ففى البداية أظهر حبه لإتباع طريق الرهبنة ولكنه فضل فيما بعد

---

(١) ضمن الرسالة التى بعث بها إلى أسقف سيباستياس أنظر (P.C. 44, 125).
(٢) أنظر P.C. 45, 277.
(٣) المرجع السابق.
(٤) أنظر P.C. 44, 126.
(٥) أنظر P.C. 46, 1049.

أن يتخذ لنفسه مهنة الخطابة (البلاغة) (١). ولم يستمر طويلاً فى هذه المهنة إذ دعاه أصدقاءه وخاصة غريغوريوس النزينزى للعودة إلى خدمة المسيح. هذا وقد تزوج غريغوريوس النيسى من تيوسابيا، التى رقدت فى الرب عام ٣٨٥م. وبالتالى فالأبحاث التى قدمها البعض وذكرت بأنه لم يكن متزوجاً ليست لها أساس من الصحة (٢). وكذلك هناك رسالة بعث بها إليه صديقة غريغوريوس النزينزى يصف فيها تيوسابيا بأنها "فخر الكنيسة" (٣).

وعلى أية حال فلقد جاهد القديس غريغوريوس النيسى بجانب أخيه الأكبر ومعلمه القديس باسيليوس الكبير لأجل الحفاظ على الإيمان المستقيم. وقد رُسم أسقفاً (٤) على بلدة نيسيس عام ٣٧١م. ومن خلال مكانته واستحقاقه لمنصب الأسقف فقد جاهد على جبهات

---

(١) وهى مهنة كانت فى ذلك العصر، وكانت تمارس سواء فى المدارس أو فى تعليم أولاد الأغنياء.

(٢) أنظر بانجراتيو بروسالى فى كتاب غريغوريوس النيسى ـ العبادة المنطقية جزء ٤ أثينا ١٩٨٣ صفحة ١٥.

(٣) أنظر P.C. 37, 321.

(٤) ويرى البعض أن غريغوريوس قد قبل العمل الرعوى بعد الضغوط التى مارسها عله باسيليوس أنظر المرجع رقم ٦.

متعددة إذ يقول يجب على الأساقفة أن يصححوا ويعالجوا كل سقم لمجابهة عبادة الأوثان أو الهرطقات ويجدوا طريقاً ودواء للشفاء (١) ومن أجل تعاليمه هذه صار القديس غريغوريوس النيسى هدفاً للآريوسيين فعملوا على محاربته بكل طريقة ممكنة، فقد قاموا بتحريض أحد الأشخاص عام ٣٧٥م بأن يشى به إلى الحاكم مدينة بنطس ذيموستينيس بتهمة تبديد أموال الكنيسة. وقد أخذ باسيليوس الكبير على عاتقه مهمة الدفاع عن غريغوريوس حيث وجه رسالة إلى ذيموستينيس مع بقية أساقفة كابادوكية قائلاً فيها "إذا كانت التهمة الموجهة إلى غريغوريوس هى تبذير الأموال حسب الإدعاء، فالصيارفة مستعدون أن يدلوا بشهادتهم ويثبتوا الكذب والوشاية لمن يريد" (٢). إلا أن ذيموستينيس بسبب الحقد الذى كان يكنه الهراطقة لغريغوريوس لم يقتنع بموقف الدفاع، بل عقد مؤتمر فى غياب غريغوريوس النيسى حيث كان يقوم بجولة خارج مقر إبرشيته، وحكم عليه غيابياً بتجريده من رتبة الكهنوتية، وعند ذلك اختفى غريغوريوس النيسى خوفاً من

(١) أنظر P.C. 49, 9.

(٢) أنظر P.C. 46, 1008.

القبض عليه، وقد كتب عن هذه الحادثة الحزينة بمرارة وغضب قائلاً "من فعل هذه الأعمال ضدنا؟ وما هى القرائن الكاذبة التى حكم بها علينا؟ وما هى الاتهامات التى وجهت إلينا؟ وهل من بين متهمينا أساقفة؟" (١).

وقد استمر غريغوريوس النيسى فى عزلته حتى موت الإمبراطور الهرطقى أولاندوس عام ٣٧٨م حيث رجع بفرح عظيم إلى إبروشيته. وبمناسبة رجوعه إلى إبروشيته كتب رسالة إلى صديقة الأسقف ابلانيوس يعبر فيها عن فرحه العميق قائلاً "لقد فرحت فرحاً عظيماً مع الشعب عندما دخلت الكنيسة ووجدت جموع العذارى حاملات الشموع مثل نهر أحمر متدفق" (٢).

رقد القديس غريغوريوس النيسى فى الرب عام ٣٩٥م تقريباً عن عمر يناهز ٦٠ عاماً، حيث أنه لدينا شواهد تدل على اشتراكه فى مجمع القسطنطينية عام ٣٩٤م.

---

(١) أنظر المرجع السابق.
(٢) أنظر P.C. 46, 1033 - 1036.

كتاباته :

للقديس غريغوريوس النيسى كتابات متعددة وغنية تشمل كل أفرع الكتابات اللاهوتية. *وتنقسم هذه الكتابات إلى ما يلى :*

* عن خلق الإنسان وتكوينه.
* عن أيام الخليقة الستة.
* عن حياة موسى من خلال سفر المزامير.
* تفسير سفر نشيد الأنشاد.
* تطويبات.
* أعمال أخرى متعددة.

٢ ـ كتب عقائدية

* رسالة إلى أونوميوس "تشمل مواضيع عقائدية مختلفة".
* كتاب ضد هرطقة أبوليناريوس.
* عن الروح القدس.

* كتاب فى الوعظ.

* عن النفس الإنسانية والقيامة.

* وأعمال أخرى كثيرة فى هذا الإطار العقيدى.

٣ ـ نسكيات عن

* البتولية.

* الهدف الإلهى والحقيقة النسكية.

* العمل المسيحى.

* حياة ماكرينيس.

* ومواضيع نسكية أخرى.

٤ ـ خطب

كتب عدداً من الخطب سواء فى المدح أو الرثاء تشمل معلومات لاهوتية هامة.

٥ ـ رسائل

يوجد عدد هائل من الرسائل التى بعث بها إلى أشخاص مختلفين سواء إلى أصدقاءه أو ضد هرطقات معينة، وتشمل جوانب متعددة من فروع اللاهوت.

شخصية وعصر غريغوريوس النيسى:

لقد عاش النيسى عصراً مضطرباً مليئاً بالصراعات والتيارات الفكرية والسياسية. ومن ناحية أخرى ففى عصر النيسى توقف اضطهاد المسيحيين وأصبحت الديانة المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية.

وفى وسط كل هذه الأحداث والاضطرابات عاش غريغوريوس جندياً صالحاً للسيد المسيح حيث عبر عن إيمانه القوى فى كتاباته ومواعظه الكثيرة.

وفى رأى العلماء المتخصصين بالدراسات الآبائية فإن غريغوريوس النيسى يُعد من أكثر الشخصيات اللاهوتية تعمقاً باللاهوت وفاق فى تعاليمه كل الآباء الكابادوك وكذلك العلامة أوريجانوس (١). وليس

(١) أنظر الأستاذ ف. تاتاكيس فى كتاب الفكر المسيحى عند الآباء الكابادوكيين، أثينا ١٩٦٠ صفحة ٢٢٣.

صعب على كل من يريد أن يدرس كتاباته أن يكتشف عمق فكرة وانشغاله بقضايا عصرنا ومشاكلنا.

ونلاحظ عند قراءتنا لأعمال غريغوريوس النيسى شيئين مهمين:

أولاً : معاناة النيسى الداخلية التى انعكست على كتاباته، فنجد أنه كتب بروح محبة للبحث والمعرفة وبالطريقة النظامية التى أحبها فنراه دائم البحث عن الحقيقة أينما وجدت.

ثانياً : لقد حاول هذا الأب العظيم أن يجد للمشاكل التى كانت تواجهها الكنيسة فى عصرة. فهو كأسقف ومعلم كان يجب عليه أن يوضح الأمور الخاصة بالإيمان مقتفياً آثار معلمه الرسول بولس عندما قال "يكون الأسقف....... صالحاً للتعليم" (١). فكتب يقول "فإن التعليم ضرورى لمن يريد أن يسير فى طريق التقوى ولأجل خلاص الكثيرين" (٢).

---

(١) أنظر ١ تيمو ٣ : ٢.
(٢) أنظر P.C. 45, 9.

الصلاة الربانية
حسب شروحات القديس غريغوريوس النيسى
الجزء الأول

مدخل :

ضرورة الصلاة

١ ـ إن كلمة الله نفسها تعلمنا كيف نصلى، مستخدمين نفس الكلمات التى علمها الرب بنفسه لأولئك الذين نالوا الاستحقاق، بأن يصيروا تلاميذاً له، وذلك عندما أظهر هؤلاء اهتماماً كبيراً بأن يتعلموا الطريقة التى تستجاب بها الصلاة. غير أنى سأجرأ بإيضاح بعض الأمور البسيطة لمضمون هذه الصلاة كما ذكرت فى الإنجيل المقدس.

وسأقول أنه يجب على من هم مجتمعون معنا فى هذه الساعة، أن يتعلموا كيف يصلون، وإنما أيضاً أن يتعلموا أن الصلاة هى أمر واجب، وربما أن يكون هذا الأمر قد فات عن أذهان الكثيرين. فرغم أن الصلاة هى عمل مقدس يسر الله فقد تم إهمالها وتخلى عنها الكثيرون.

وأعتقد أنه من المستحسن ـ وقبل كل شئ ـ أن أوضح على قدر المستطاع، أنه يجب علينا أن نصر على الصلاة، كما يقول الرسول بولس "فرحين فى الرجاء، صابرين فى الضيق، مواظبين على الصلاة" (١) وهكذا فإننا سنسمع بعد ذلك الصوت الإلهى الذى سيعلمنا كيف نصلى لله.

وعدم العناية بالصلاة آراه واضحا فى الحياة الحاضرة، إذ بينما يهتم المرء بكل شئ فى الحياة نراه يهمل الصلاة ولا يهتم بها. فنرى أن البائع الذى يحاول ترويج بضاعته بين المشترين ويسعى لتلبية رغباتهم، يستيقظ مبكراً قبل باقي التجار ويذهب إلى السوق من قبلهم ليبيع بضاعته مبكراً، كذلك المشترى يهتم بأن يسرع إلى السوق خوفاً من نفاذ ما يريد أن يشتريه، وهم فى هذا يهتمون بكل شئ ما عدا الصلاة، مهدرين وقت الصلاة فى المعاملات التجارية رغبة منهم فى الوصول إلى الربح الوفير قبل الآخرين.

نفس الأمر نجده يحدث بين الصناع وأهل البلاغة والقضاة وحتى المتهمين أمام المحاكم.

---

(١) رومية ١٢ : ١١.

فكل شخص من هؤلاء يكرس كل وقته من أجل عمله ناسياً بذلك الصلاة، وبهذا فهو يعتبر أن انشغاله بالله فى الصلاة فيه إهدار للوقت. فالصانع إذ يعتمد فى حرفته على مهارة يديه، يظن أنه لا جدوى من صلاته ومن طلبه لمعونة الله فى عمله، ولهذا نجده يهمل الصلاة، ناسياً بذلك الله نفسه الذى خلق له هاتين اليدين. كذلك الخطيب الذى يهتم بصياغة الحديث، مهملاً الصلاة، وهو يعتقد أنه قد اكتسب إمكانياته فى علم المنطق والكلام بجهده الخاص، وينسى أن الله هو الذى منحه البلاغة وحسن الكلام، فنراه يكرس كل وقته من أجل تلاميذه مفضلاً أن يعطى وقت الدرس عن أن يعطى وقتاً للصلاة، ظاناً أنه ليس هناك فائدة من الصلاة.

وهذا المثل يحدث مع آخرين فى مجالات عملهم المختلفة، حيث يهتم الكل بالأمور العالمية بدلاً من الأمور السماوية.

ولهذا السبب قد انتشرت الخطية فى حياة البشر ونراها كل يوم تزداد وتتفاقم، متغلغلة فى جميع أنشطتهم، ولأن الجميع نسوا الله، وفى كل معاملاتهم البشرية ابتعدوا عن الصلاة، نجد أن الطمع استشرى فى المعاملات التجارية والطمع هو صنو عبادة الأوثان كما يذكر الرسول

بولس "فأميتوا أعضائكم التى على الأرض الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، والطمع الذى هو عبادة الأوثان" (١).

فالفلاح الذى لا يكتفى بإحتياجاته الضرورية، بل يطمع فيما لجاره، يضع بذلك بذور نزاعات يصعب بعد ذلك حلها. فعندما يقوم نزاع بين الواحد منهم والآخر على حدود الأرض، يبدأ بينهما خصام وتتولد فى داخلهما نوايا الشر والكراهية، مما يؤدى فى كثير من الأحيان لسفك الدماء.

وأيضاً ما يحدث أحياناً فى ساحات القضاء، حيث نجد أن بعض المحاميين يدافعون عن المخطئ، وبعض القضاة بقصد منهم أو بدون قصد، يميلون كفة العدالة لينتصر الظالم، ويُظلم البرئ. وهذا يحدث عندما يخدع أولئك الذين لا يشهدون بالحق، أعضاء المحكمة مقدمين لهم الشواهد المضللة والأدلة الكاذبة. وما الفائدة من أن نحص هذه الأشياء التى بواسطتها تتعمق الخطية داخل حياة الإنسان بطرق مختلفة ؟

(١) كولوسى ٣: ٥.

إن سبب الخطية الرئيسى هو أن البشر فى سعيهم لإتمام أعمالهم اليومية لا يأخذون بعين الاعتبار أهمية تنفيذ الوصايا الإلهية.

فوائد الصلاة

٢ ـ وعلى العكس من ذلك، فإن الإنسان لو بدأ بالصلاة قبل أن يسعى فى طلب رزقه، فلن تجد الخطية لها مكاناً فى نفسه. فالإنسان إذا تذكر الله دائماً، فإنه بهذا يحبط كل مخططات عدو الخير ويضع حداً للأمور المتنازع عليها. فالصلاة تكبح جماح المزارع الذى يسعى بطريقة خاطئة لمضاعفة دخله، فتمنع عنه خطية محبة القنية. والأمر نفسه نجده يحدث مع الجندى والصانع، والعامل، وحتى من يفكر فى الزواج. فمن كانت لديه رغبة فى عمل أمر ما، وبدأه بالصلاة، فإنه بالإضافة إلى النجاح الذى سيلاقيه فإنه سيتجنب الخطية، لأنه لن يكون هناك أمر يجذب النفس نحو الشهوة. أما من يبتعد عن الله وينشغل بالإتمام فى أداء عمله فإنه سيكون بالتأكيد منغمساً فى مشاغله العالمية وبالتالى متأثراً برئيس هذا العالم. فإن من لا يرتبط بالله عن طريق الصلاة، لا يكون فى شركة مع الله.

وهذا ما يجب علينا أن نتعلمه، أن نصلى باستمرار ولا نتعب من الصلاة، إذ بها ننجح فى الاقتراب من الله والابتعاد عن الشيطان. فالصلاة تنقى الفكر، والصلاة تكبح جماح الغضب والغرور، الصلاة تطهر النفس من الكراهية، الصلاة تطرد الحقد، الصلاة ترفع الظلم، الصلاة تقّوم عدم التقوى، الصلاة تعطى قوة للنفس والجسد، الصلاة تجلب الفرح للبيت، الصلاة توفر الرخاء فى المدينة، الصلاة توحد بين المتفرقين، تحفظ على الذين هم فى الواحد وحدتهم.

الصلاة ختم البتولية، الصلاة إخلاص فى الزواج، الصلاة سلاح فى يد المسافرين وحارس للنائمين وقوة للمتيقظين. الصلاة تجلب الفرح لقلوب المزارعين، الصلاة تؤمن السلامة للمسافرين فى البحر.

الصلاة تحامى عن الواقف أمام القضاء، الصلاة هى الحرية للمساجين، وراحة للمتعبين وعزاء للحزانى وسعادة للمتزوجين.

الصلاة هى فرح للإنسان فى ذكرى مولده، الصلاة هى كفن للراقدين، الصلاة هى محادثة مع الله، الصلاة هى رؤية ما لا يرى، معرفة لما نريد معرفته، الصلاة هى اشتراكنا فى الشرف مع الملائكة، الصلاة هى نمو فى كل عمل صالح، وردع لكل أعمال الشر.

الصلاة هى تهذيب للمذنبين. الصلاة تجعلنا نتمتع بعطايا الله الحاضرة، وتعطينا يقيناً بخيرات الدهر الآتى. الصلاة حولت بطن الحوت إلى موضع لراحة يونان. الصلاة هى التى أعادت حزقيال للحياة بعد أن أشرف على الموت. الصلاة هى التى حولت لهيب الأتون المشتعل إلى نسيم بارد من أجل راحة الثلاثة فتية. الصلاة هى التى أحرزت النصر لبنى إسرائيل على بنى عماليق وقضيت بيد خفية على الآشوريين رغم عددهم الذى فاق ١٨٥ ألف، ومن أمثلة أخرى لا حصر لها يمكننا أن ندرك أنه لا يوجد فى حياتنا ما هو أثمن من الصلاة.

والآن لنذكر أمراً مهماً آخر فى موضوع الصلاة وهو وجوب أن تشكر الله فى الصلاة على ما قد وهبنا الحياة النعمة الإلهية.

كثيرة هى العطايا الإلهية لنا

٣ ـ إنه لفى اعتقادى أنه حتى ولو طال حديثنا مع الله فى الصلاة شاكرين إياه طوال عمرنا فإننا لن نكون قادرين على أن نفيه حقه بسبب كثرة ما تفضل به علينا. فحياة الإنسان هى ماضى وحاضر ومستقبل، وفضل الله علينا يشمل كل مراحل حياتنا هذه، فبفضله تعيش حاضرك

الآن. وهو أملك فى تحقيق طموحاتك فى المستقبل ولولاه ما كنت موجوداً من قبل فى الماضى. فلقد أنعم عليك بالوجود، وطالما خُلقت بفضله وتتحرك به كما يقول بولس الرسول "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (١) وعلى هذه النعمة تقوم كل آمالنا فى المستقبل. فأنت تملك حاضرك فقط، وبالتالى فحتى لو أنك لم تكف الآن عن شكر الله وبدون انقطاع فإنك ستكون بصعوبة قد أتممت واجبك نحو الحاضر، الذى تملكه إذ أنك لا تجد سبيلاً لتقديم الشكر بالنسبة للماضى والمستقبل الذين لا تملكهما. إذ نحن مقصرين جداً فى شكرنا لله ولا نستطيع أن نوفى فضل الله علينا. فعلى الرغم من أنه يجب علينا أن نشكر الله طوال اليوم، إلا أننا لا نعطيه ولا حتى جزاءاً صغيراً من وقت اليوم لتشكره فيه.

فمن ذا الذى ثبت لى الأرض لا مشى عليها؟ ومن ذا الذى جمع المياه فى البحار والمحيطات؟ ومن ذا الذى ثبت السماء كقبة فوق رأسى؟ ومن ذا الذى أمسك لى الشمس كمشعل؟ ومن ذا الذى أعد للأنهار

---

(١) أعمال ١٧ : ٢٨.

مجراها؟ ومن ذا الذى سخر الكائنات الحية غير العاقلة لخدمتى؟ ومن ذا الذى وهبنى الحياة وموهبة العقل مع أننى خلقت من تراب الأرض.

ومن ذا الذى جبل الإنسان الترابى خالقاً إياه على صورة الله ومثاله؟ ومن ذا الذى أعاد لى جمال الصورة الإلهية الأولى بعد أن اسودت بالخطية؟ ومن انتشلنى وأعادنى للمجد الأول بعد أن كنت قد نفيت من الفردوس وابتعدت عن شجرة الحياة وغرقت فى مستنقع الحياة المادية؟ "ليس من يفهم، ليس من يطلب من الله" (١). هكذا يعلمنا الكتاب المقدس. لأننا لو فهمنا كل هذه الأمور، فإننا بالتأكيد سنقدم الشكر لله بلا توقف كل أيام حياتنا. غير أن البشرية كلها تهتم بكل ما هو مادى فقط، وتنشغل به كل الانشغال، وعليه تبنى كل آمالها.

فالإنسان يظل ساهراً لا ينام وهو يسعى بقدر استطاعته على المزيد من الأمور المادية. فالطبيعة البشرية تتطلع باستمرار لاقتناء المزيد من كل شئ سواء كان تكريماً أو مجداً شخصياً أو مكاسب مادية. أما فيما يتعلق بخيرات الله الحقيقية، فإن الإنسان لا يتحدث عنها ولا يشكر الله عليها سواء كانت خيرات الدهر الحاضر أو خيرات الدهر الآتى.

---

(١) رومية ٣: ١١.

والآن دعنا نفكر بحسب طاقاتنا فى معنى كلمات الصلاة الربانية معنى ومضمون "لا تكرروا الكلام باطلاً ".

كيف يجب أن تصاغ الصلاة :

٤ ـ من الواضح إذن أنه لكى ننجح فى فهم هذه الآية، فإن السبيل إلى ذلك هو أن نتعلم كيف يجب أن تصاغ الصلاة. وكيف نتعلم إذن؟ يقول الكاتب "حينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كما يفعل الأمم" لأن الأمم يعتقدون أنه بتكرار الكلام يستجاب لهم. ربما يكون المعنى لا يحتاج لإيضاح أكثر، إلا أنه يجدر بنا أن نفحص ما تعنيه عبارة "أكرر الكلام باطلاً " لأننا عندما نفهم هذا سنتجنب الوقوع فى المحظور.

أعتقد أن هذه العبارة قد صيغت بهذه الطريقة لضبط جماح هؤلاء الذين يحصرون رغباتهم فى أمور عقيمة لا فائدة منها وأيضاً لكى يحد من انشغال الفكر بهذه الرغبات غير النافعة، لأن ليس كل ما تتكلم به كلاماً، بل الذى يكون له معنى واضحاً وجلياً ومفيداً. فإن كان ما نتكلم به يجعلنا ننشغل برغبات وشهوات مولداً فينا لذة وهمية، فإن هذا لا يكون كلاماً بل تكرار باطل لما نتكلم به.

وإذا أراد المرء معرفة المعنى اللغوى لتعبير "تكرار الكلام باطلاً" فمن الأجدر أن تقول أن تكرار الكلام باطلاً يعنى الثرثرة والهذيان والكلام بلا معنى وكل شئ من هذا القبيل.

وهنا يمكن أن نتساءل ماذا يمكن أن تنصحنا به كلمة الله؟ أن ما تنصحنا به كلمة الله هو أن فى وقت الصلاة لا يصيبنا ما يصيب أولئك الذين لم تنضج عقولهم أى هؤلاء الذين لا يفكرون كيف يحققون ما هو فى حدود إمكانياتهم، بل يتخيلون لأنفسهم نجاحات كبيرة تتعلق بالسلطة والمال وبناء المدن العظيمة التى تحمل أسمائهم. وهم فى هذا يحلمون بأنه قد تحقق لهم كل ما يمليه عليهم فكرهم الباطل. بل ويوجد أيضاً أناساً تسيطر على أفكارهم هذه الآمال الزائلة بصورة أكبر مما تسيطر على عقول الأطفال الصغار. فنجد أن تفكير هؤلاء يتجاوز التفكير الطبيعى فيتخيلون أنهم كالنجوم التى تلمع أو أنهم أصبحوا طيوراً تطير، أو يحملون الجبال بأيديهم أو أنهم يستطيعون أن يطئون السماء بأقدامهم أو أن بإمكانهم أن يعيشوا سنيناً عديدة إذ يتصورون أنهم كلما تقدم بهم العمر عادوا مرة أخرى إلى عمر الشباب، وغير

ذلك من تلك الأحلام الفارغة والتخيلات التى لا معنى لها والتى تتصورها عقولهم الأبسط من عقول الأطفال الصغار.

إن من يتصور ويتخيل مثل هذه الأشياء لا يستطيع عملياً أن يفكر كيف يحقق ما يصبوا إليه، لكنه يعيش فى خيالاته اليومية والزائلة وهو يثبت بذلك أنه لا يفكر بالمرة.

وهكذا فإن من لا يصنع انتباهه أثناء الصلاة فى كل ما هو مفيد للروح بل يعيش فى تخيلاته يريد حتى أن الله نفسه يكون متوافقاً مع رغباته وأفكاره الأنانية.

إن من يفعل هذا يكون بالفعل ثرثاراً، بل ومعتوهاً لأنه يصلى لكى يصير الله شريكاً له ومتعاوناً معه فى خدمة أهدافه الفانية.

وأعنى أنه عندما يقترب شخص ما إلى الله عن طريق الصلاة، فلأنه لا يدرك تماماً مقدار عظمة الله الذى يتوجه إليه بالصلاة، فإنه عندما يطلب فى صلاته مطالب لا تليق بهذه العظمة، فإنه بذلك يهين العظمة الإلهية. إن هذا الشخص يشبه ذلك الإنسان الذى عندما يقترب من ملك عظيم له القدرة على منح الثروات وإعطاء المناصب الرفيعة، لا

يطلب منه شئ من هذا، بل بسبب جهله وفقره يعتبر أن آنية من الفخار لها قيمة عظيمة، فيطلب من الملك صاحب الشأن العظيم أن يصنع له من الطين واحدة منها. وهكذا فإن كل من يصلى بدون إدراك كاف بقدرة من يصلى إليه، فإنه لا يرتفع بطلباته إلى مستوى الله المعطى الخيرات الحقيقية، بل يتطلع إلى أن ينزل بهذه العظمة الإلهية إلى مستوى رغباته الأرضية (الوضيعة). ولهذا فإنه يكشف أفكاره التى لا تليق أمام الله الذى يعرف خفايا القلوب، ولكن ليس بهدف أن يشفى من هذه الأفكار، بل متوقعاً تحقيق هذه النوايا الخبيثة بمساعدة ومعونة الله. فهو يصلى إلى الله قائلاً أن هناك شخصاً يسبب لى المتاعب وقلبى لا يكن له الحب، ويطلب من الله أن ينتقم له منه. وفى طلبه هذا كأنما يقول لله : فلتكن أنت منفذاً لكل رغباتى السيئة. وكما يحدث عندما يتخاصم البشر، فإن من ينجاز منهم مع فريق، لابد وأن يعادى الفريق الآخر، وهكذا فإنه من الواضح أن كل من يحرض الله لكى يغضب من عدوه، فإنه بهذا كأنما يطلب من الله أن يشاركه هذا الغضب.

وهذا سيكون معناه أننا نريد أن نخضع الله لرغباتنا السيئة وأن يتحول عن طبيعته الصالحة إلى طبيعة وحشية.

نفس الأمر نجده فى صلاة أولئك الذين يسيطر عليهم جنون العظمة والمتكبرين ومن يسعون لكسب القضايا فى المحاكم ومن يسارعون للحصول على الجوائز فى المباريات الرياضية ومن يرغب فى إرضاء رغبات المتفرجين فى المسارح وغيرهم ممن تغويهم نزوات الشباب الجامحة. فكل هؤلاء لا يصلون لله لكى يشفيهم من أمراضهم الروحية المسيطرة عليهم، وإنما لكى يحققون أهدافهم وكل أغراضهم المريضة. وعندما لا تحقق هذه الأغراض لهم يعتبرون أن هذا فاجعة كبيرة ولهذا يكررون الكلام فى الصلاة باطلاً راجين الله أن يشاركهم فى تحقيق أغراضهم هذه.

والأسوأ من ذلك كله أنهم يرغبون فى أن يتخذ الله موقفاً عدائياً تجاه أعدائهم الشخصيين. وبهذا فهم يقسّمون أعمال الله إلى أعمال صالحة وأخرى قاسية، لأنهم يريدون من الله أن يكون متسامحاً معهم فى حين أنهم يرجونه أن يكون قاسياً ومتشدداً مع أعدائهم. فياله من جهل شديد يرتكبه هؤلاء الذين يكررون الكلام باطلاً فى الصلاة. لأنه

أن كان الله سيكون متشدداً مع الآخرين، فإنه بالتأكيد لن يكون متسامحاً معك أيضاً - لكنه إن كان رحيماً معك كما تتطلع أنت فكيف من الممكن أن يفعل عكس ذلك محولاً رحمته إلى قسوة.

أما من يستخدمون أقوال الأنبياء ليبرروا بها قسوتهم، فإنهم من محبى الشجار، وآرائهم لا تستند على أى أساس. فهم يقولون مثلاً أن داود النبى كان يتمنى أن أعداءه يخزون ويرتاعون، بل وأيضاً يخافون (١)، كما أن ارميا النبى كان يتمنى أن يرى انتقام الله من أعدائه، أما هوشع النبى فكان يرجوا الله أن يعطى أعدائه "رحماً مسقطاً وثديين يبسين" (٢).

فمحبى الشجار هؤلاء، يجمعون نصوصاً أخرى مشابهة من الكتاب المقدس لتدعيم قولهم، بأنه يجب أن نصلى لله لينتقم من أعدائنا وليكون سنداً لهم فى قسوتهم. وهم فى هذا يتبعون، من ناحية منهجاً خاطئاً، ومن ناحية أخرى يصلون لنتائج متعارضة مع بعضها. ولكى نوقف ثرثرة هؤلاء فإننا سنجيب على كل ما ذكروه كما يلى.

---

(١) مز ٦ : ١٠.

(٢) هوشع ٩ : ١٤.

إننا لا نستطيع أن نصف أحداً من القديسين الحاملين للمسيح والمستنيرين بالروح القدس، الذين كتبوا بإرشاد إلهى لتتعظ بهم الأجيال، بأنه كانت لهم نوايا شريرة نحو البشر، إذ أن مقاومة الشر فى حياة البشر كان هو الهدف الوحيد فى كل كتاباتهم.

فمن يتمنى ألا يكون هناك مريضاً أو فقيراً، فهذا ليس معناه أنه يرغب فى عدم وجودهم، بل أنه يختفى المرض والفقر منهم. وبينما كان هؤلاء الآباء القديسين يصلون لكى يختفى من حياة الناس كل ما هو شر وكل ما يخالف طبيعة البشر، كانوا من يفتقرون للخبرة الروحية يعتبرون أن هذه الصلاة تعكس مرارة وعدم راحة تجاه البشر أنفسهم. ولهذا فعندما يقول صاحب المزمور "لتبد الخطاة من الأرض والأشرار لا يكونوا بعد" (١) فإنه يتمنى أن تختفى الخطية وتبطل مخالفة الناموس. ذلك لأن الإنسان ليس عدواً لأخيه الإنسان، إنما العدو هو ذلك الميل نحو الشر وهو الأمر الذى يفرق بين البشر الذين لهم طبيعة بشرية واحدة. فالمرنم إذن يتمنى أن يختفى الشر لا الإنسان. فالإنسان ليس شراً، لأنه كيف يكون شراً من خُلق على صورة الله ومثاله؟

---

(١) مز ١٠٤: ٣٥

وهو أيضاً عندما يتمنى أن يصاب الأعداء بالعار والخجل، فهذا يدل على كثرة الحيل التى يسببها العدو الخفى فى حياة الإنسان. وعن هؤلاء الأعداء يتحدث بولس الرسول قائلاً أن مصارعتنا هى "مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماوات" (١) أى أن مصارعتنا هى مع مكائد الشيطان التى تولد الفرص الشريرة لارتكاب الخطية لدى البشر، مثل السخط ودوافع الشهوة أو أسباب الحسد والكراهية والغرور وكل السيئات الأخرى. ولهذا فعندما يرى المرنم كل هؤلاء الأشرار وهم يطوفون ويهدرون كل نفس بشرية فإنه يتمنى لهم العار فى صلواته، ويتمنى أيضاً خلاصاً للنفس البشرية، لأنه من الطبيعى أن يشعر المهزوم فى القتال بالخجل عند سقوطه، كما أنه من الطبيعى أن يشعر المنتصر بالفرح لانتصاره. وما يقوله المرنم فى المزمور بين حقيقة ما نقوله إذ يصرخ قائلاً "جميع أعدائى يخزون ويرتعون جداً يعودون ويخزون بغتة" (٢) وهنا نراه لا يتمنى العقاب فقط لهؤلاء الذين يضمرون الشر

---

(١) أفسس ٦ : ١٢.

(٢) مزمور ٦ : ١٠.

لروحه بمكائدهم وما المكيدة إلا محاولة العدو لإبعاد النفس عن الله. وهذا الابتعاد لا يتم إلا عن طريق وبواسطة الرغبات الشريرة، ولأن الله منزه عن كل شهوة، فلهذا فإن كل من كان أسيراً لشهواته، وليس فى شركة مع الله ولكى لا يفقد النبى هذه الصلة بالله، فإنه فى صلاته يطلب الخزى والعار لأعدائه وفى الوقت نفسه النصر له على هؤلاء الأعداء الذين هم بالطبع كل شهوة ورغبة شريرة.

وهكذا أيضاً نرى النبى ارميا البار يصلى من أجل توبة الجميع إذ يتبين أن الملك قد خضع لعبادة الأوثان ومعه كل الرعية (١).

وعندما رأى نبى آخر أن الخطية تنتشر بين بنى إسرائيل صرخ إلى الله قائلاً "أعطهم رحماً مُسقطاً وثديين يبسين" (٢). وكان محقاً فى طلبة هذا وفى رغبته بعقابهم بالعقم وبإنضاب أثداء الخطية المرة كى لا يلد "البشر" الشر مرة أخرى ولا يقدمون له طعاماً.

فكل ما كان ينطق به هؤلاء القديسون فى صلاتهم من عبارات غاضبة، مشابهة لما قد ذكرناه، يمكن تفسيره كما أشرنا سابقاً.

---

(١) ارميا ١٠: ١ – ١٧.

(٢) هوشع ٩: ١٤.

فالله الذى لا يصنع الشر، لا يمكن أن يقتل الإنسان، بل هو يزيح عنه الشر. فسفر الحكمة يقول "إذ ليس الموت من صنع الله...." (١).

أسمعت إذن القول الإلهى؟ كيف يستطيع أحد إذن أن يطلب من الله موت أعدائه؟ إن الله لا يسر بفقدان الأحياء. ومن يكرر الكلام باطلاً طالباً أن ينحاز الله معه ضد أعدائه الشخصيين، فكأنه يأمر الله أن يشاركه لذة الفرح لمصائب البشر.

فى صلاتنا ينبغى أن نطلب ما هو أعظم من الأمور المادية

٦ ـ غير أن البعض قد حصلوا عن طريق الصلاة على مناصب وتكريم وثروات، ولهذا فقد أُعتبروا أنهم قريبين من الله. فكيف إذن يمكن لأحد أن يتساءل قائلاً : كيف لا تشجعن على طلب مثل هذه العطايا من الله فى صلاتنا؟ إن كل الأشياء تتوقف على الإرادة الإلهية، ولا يمكن لأى أحد أن يعارض هذا الأمر، كما أن لهذه الحياة الحاضرة تدبير سماوى من فوق. أما النتائج التى حصل عليها البعض من صلاتهم كما ذكرنا، فنحن نعلم أن هناك دوافع أخرى قد أعطى الله

(١) سفر الحكمة ١ : ١٣.

بسببها هذه الأمور لهؤلاء الناس، حيث أنهم هم الذين قد طلبوها فى صلاتهم. فالله يعطى مثل هؤلاء الناس ما يطلبونه كى يثّبت إيمانهم. وهكذا فعندما يختبر الإنسان استجابة الله له فى الصلاة فإنه سيرتقى شيئاً فشيئاً فى طلباته، وسيرتفع بها من الأمور الأرضية إلى تلك التى تليق بالله. الأمر ذاته نشاهده فيما يحدث للأطفال الرضع والذين حسب طبيعتهم يكونوا متعلقين بصدور أمهاتهم، مستمرين فى الرضاعة إلى أن يكتسبوا قوة، فلا تجذبهم صدور أمهاتهم، ولا خصال الشعر، ولا لون الملابس وما شابه ذلك.

وهكذا عندما ينضج عقلياً وجسدياً نراه يتخلى عن كل الرغبات الطفولية ويطلب فقط ما يناسب سنه.

هكذا يتعامل الله مع الإنسان فى الصلاة، كى يعتمد الإنسان على الله فى كل شئ، ولهذا ففى مرات عديدة يستجيب حتى لطلبات البشر المادية كى يعلمه أن يطلب منه ما هو أسمى.

إذن ضع ما يلى أمام عينيك : إن كان أحد قد أصبح مشهوراً وذو شأن عظيم بعد أن كان مغموراً أو أنه قد حصل على ما يسعى إليه

البشر فى الحياة الحاضرة من مناصب أو مجد، فإن كل هذا يثبت محبة وإحسان الله تجاه البشر. فإن كان هؤلاء قد حصلوا على تلك الأمور البسيطة والتى تشبه لعب الأطفال، فتعلم أنت أن تطلب من أبوك السماوى تلك الأمور الأعظم إذ أن هذه الأمور هى التى تفيد الروح.

ما يجب أن ننتبه إليه فى الصلاة

٧ ـ من الأمور غير المقبولة أن تطلب ما هو مؤقت وزائل من الله الأبدى، وأن تسأل رب السماء عما هو أرضى، وترجو من الرب العلى ما هو سفلى. ثم تسأل من ذلك الذى يمنح ملكوت السماوات جاهاً أرضياً أو شيئاً ليست له قيمة لحياتك الروحية.

إن الاهتمام بالأمور الظاهرية هى إشارة لهؤلاء الذين ليس لديهم رجاء فى الدهر الآتى ولا يخشون يوم الدينونة والنار المعدة، ولا ينظرون إلى خيرات الدهر الآتى، لأنهم يسلكون فى الحياة الحاضرة مثلهم مثل الحيوانات غير العاقلة فهم ينظرون إلى الخيرات على أنها تلك التى تعطى متعة للفم والبطن وكل ما يتعلق بالمتع الجسدية، وكل ما يجعلهم فى وضع أعلى شأناً من الآخرين، ويرغبون فى اقتناء الأموال الكثيرة ويشتهوا كل أمر آخر من أمور هذه الحياة الباطلة.

ومن يتكلم عن الرجاء فى الدهر الآتى أو الفردوس أو ملكوت الله يُعد بالنسبة لهؤلاء إنساناً معتوهاً.

إذن فالتعلق بالحياة الحاضرة هو من العلامات التى تشير إلى أولئك الذين ليس لديهم رجاء في الدهر الآتى، وقد وصف الكتاب المقدس أولئك الذين تسيطر عليهم الشهوات ويتمتعون بكل ما هو زائل، بأنهم يمارسون عادات وتقاليد وثنية.

وهم يظنون أنه بالصلاة سيقتنون لأنفسهم كل ما يتمنوه وبصلواتهم المتكررة يعتقدون أن الله يستجيب لطلباتهم المنحرفة، ويتواطأ معهم فى الأمور الممنوعة. ظناً منهم، كما يقول "أن بكثرة كلامهم يستجاب لهم".

الجزء الثانى

«أبانا الذى فى السماوات»

موسى والمسيح

١ ـ عندما قاد موسى العظيم شعب إسرائيل إلى إجراءات تسليم الشريعة على جبل سيناء، لم ير أن الشعب مستحق لرؤية الله قبل أن يتقدس (١)، كما أن جموع الشعب أيضاً بعد أن فعلوا ذلك، لم يتجرءوا على مواجهة الظهور الإلهى. فوقفوا مذهولين أمام الظواهر التى رأوها، كالنار، والظلمة، والدخان، والأبواق. ولما التفت إليهم ثانية طلبوا منهم أن يكون وسيطاً لهم لدى المشيئة الإلهية. ذلك لأنهم لم يشعروا أن لديهم القدرة الروحية الكافية للاقتراب من الله وقبول هذا الظهور الإلهى. لكن ربنا يسوع المسيح المشروع الأعظم عندما أراد أن يقربنا من النعمة الإلهية، لم يعرض لنا بالكلمة جبل سيناء آخر مغطى بالغمامة، والنار تشتعل فيه، والأبواق تخرج أصواتاً مرعبة مدوية. لم يفرض علينا ثلاثة أيام من التقديس، ولم يغسل نفوسنا بماء لتطهير النجاسة. لم يترك

---

(١) خروج ١٩.

الجموع المحتشدة على سفح الجبل، ليعطى شخصاً واحداً فقط إمكانية الصعود إلى القمة المغطاة بالغمامة التى تخفى المجد الإلهى. لكن علة عكس كل ذلك فإنه أولاً، بدلاً من الجبل، فتح السماء ذاتها وجعلها مطروقة للبشر بواسطة الفضيلة. بعد ذلك فقد جعلهم ليس فقط مشاهدين للقوة الإلهية بل مشاركين فيها. وكل الذين يأتون إليه يقربهم بطريقة ما من الطبيعة الإلهية. وهو لم يخف مجده الإلهى بغمامة تعلوا على كل السحاب بشكل يصبح صعبه الرؤية على كل من يسعى إليها، لكنه بعد أن أضاء الظلمة جيداً بنور تعاليمه الطاهر، جعل المجد الذى لا يوصف يظهر بوضوح فى سماء صافية ليرها كل صاحب قلب طاهر. لكنه أيضاً وهبنا ماء التقديس، ماءً ليس من منابع غريبة، وإنما ينبع من داخلنا، أى من منابع دموعنا أو من ضمير قلبنا الطاهر. وبتكريسه لشريعة الطهارة فى الحياة الزوجية القانونية ولكل رغبة مادية تجر إلى الخطية، يقربنا هكذا من الله بواسطة الصلاة، لأن هذه القوة محتواها ضمن كلمات الصلاة. وبهذه الطريقة لا نتعلم كيف نصيغ كلمات الصلاة ببضعة صرخات، وإنما بأسلوب الارتقاء نحو الله. وهى الطريقة التى نتمكن من تحقيقها بحياة القداسة.

الفرق بين الدعاء والصلاة:

٢ ـ بكلمات الصلاة هذه نستطيع استيعاب التعاليم الإلهية فهو يقول " عندما تصلون" ولا يقول "عندما تدعون"، وذلك لأنه يجب أن نكون قبل ذلك قد أوفينا ديننا المتعلق بالدعاء، قبل أن نتقدم إلى الله بالصلاة. فما هو إذن الفرق فى المعنى بين هاتين الكلمتين، أى الصلاة والدعاء؟

الدعاء من جهة، هو وعد بتحقيق كل شئ من الأشياء التى تم نذورها إلى الله إثباتاً لوقارنا. ومن جهة أخرى، نجد أن الصلاة هى أن نطلب الخيرات من الله بالترجى. ولأننا إذن نحتاج أن نعبر عن أفكارنا بشجاعة عندما نقترب إلى الله ونترجى تحقيق كل ما هو نافع فإننا سنذر إلى الله نذراً معيناً. وعندما نفى ديننا وقتها ستكون لدينا الشجاعة بأن نطلب من الله الحصول على المطلب المناسب. ولهذا يقول النبى "أوفيك نذورى التى نطقت بها شفتاى" (١)، ويقول أيضاً "انذروا وأوفوا الرب إلهكم" (٢). وفى أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس نجد أن هذا هو

---

(١) مزامير ٦٦: ١٣ – ١٤.

(٢) مزامير ٧٦: ١١.

معنى الدعاء ويجعلنا نفهم أن الدعاء كما ذكرنا هو الوعد بتقديم هبة كتعبير عن امتناننا. أما الصلاة فهى التى تبرر تقربنا من الله بعد إيفائنا للوعد.

تُعلمنا كلمة الله إذن، ألا نطلب من الله قبل أن نقدم له شيئاً مما وعدناه به. ذلك لأنه يجب علينا أن نعد أولاً، وبعد ذلك نصلى. هذا يشبه القول أن البذار يسبق الحصاد.

يجب علينا إذن أن نبذر بذور الوعد، وعندما تنمو البذور، فإننا نحصد بالصلاة النعمة التى نستردها كثمراً لما زرعناه. ولن يكون للحديث شجاعة إذا تقربنا إلى الله دون وعد سابق ولذلك من الضرورى أن يسبق الوعد الصلاة.

الأب وأبناءه:

٣ ـ وعندما يتحقق ذلك، يقول الرب لتلاميذه: فمتى صليتم، قولوا أبانا الذى فى السماوات. ويقول داود العظيم فى أحد مزاميره : من يعطينى أجنحة كالحمامة؟ (١) وأنا أيضاً ما كنت لأجرؤ أن أقول هذا.

---

(١) مزامير ٥٥ : ٦.

فمن يزودنى بالأجنحة الملائمة للارتفاع بفكرى إلى مستوى حكمة كلمات المسيح؟ وأن أترك الأرض بأكملها، وأشق عنان السماء، وأقترب من الجمال السماوى، وأصل إلى النجوم، وأتمتع بروعة الزينة الموجودة هناك. ولا أتوقف هناك أيضاً، بل وأتجاوز كل ذلك، وأخرج من كل ما يتحرك ويغير مكانه، لأصل إلى الله، الذى هو الطبيعة الثابتة، والقوة الراسخة، وهى تتحكم وتمسك بكل شئ مما هو موجود، وبكل الأشياء المتوقفة على إرادة الحكمة الإلهية العامة فى صمت. وهكذا، عندما أتواجد مع الحكمة خارج حدود الأشياء الفاسدة المتحركة، فى حالة ثبات ورسوخ روحى، فإنى أمتلك الثابت والراسخ أولاً بالإرادة. وبعد ذلك فقط أدعوه هكذا كما لو كنت مقرباً منه قائلاً: أبتاه؟

أية روح يجب أن يمتلكها ذلك الذى سيلفظ تلك الكلمة؟ وكم من الشجاعة يجب أن يمتلك للتعبير عن رأيه؟ وأى ضمير حى يجب أن يكون لديه حتى يستطيع إدراك واستيعاب الله، بقدر الإمكان طبعاً، عن طريق إدراك مجده الذى لا يوصف من خلال الأسماء المطلقة عليه؟ وعندما يدرك ماهية الله، أى الصلاح، والقداسة، والفرح الكبير، والقوة، والمجد، والنقاء، والخلود، وأن صفاته هذه دائمة لا تتغير. وكل

الصفات الأخرى المتشابهة التى يدركها الإنسان حول طبيعة الله، إما بمساعدة الكتاب المقدس، أو بواسطة تأملاته الخاصة... وبعد أن يستوعب كل هذه الأمور، هل سيتجرأ عند ذلك على لفظ تلك الكلمة وأن يدعوه أبوه؟ من الواضح أنه إذا كان يملك قليلاً من العقل فإنه لن يتجرأ على نطق تلك الكلمة تجاه الله وأن يقول له "أبى" إذا لم يكن يرى فى نفسه ذات الصفات. ولأن الله صالح بطبيعته فإنه من المستحيل أن يكون أباً للأعمال الشريرة، ولا يمكن للقدوس أن يكون أباً للحياة الدنسة، ولا يمكن لمن لا يتغير أن يكون أباً لما هو متحلل، ولا يمكن أبو الحياة أباً للميت بالخطية، ولا يمكن للطاهر غير المدنس أن يكون أباً لمن يرتكبون السيئات من خلال انغماسهم فى شهوات رديئة، ولا يمكن أن يكون المعطى أباً لمن يسعى لاستغلال الظروف. وبشكل عام لا يمكن لذلك الذى نراه فى كل الصالحات أن يكون أباً لأحد ممن يعيشون فى أى نوعاً من أنواع الشر.

ومن يتابع نفسه، إذا تصادف وتحقق من أنه لا يزال بحاجة إلى التطهير، واعترف أن ضميره لا يزال شريراً، مليئاً ببقع وقروح الشر، ثم وضع نفسه فى مرتبة المقربين إلى الله قبل أن يتطهر من كل شره هذا.

فيقول الظالم للعادل: "أبى"، ويقول كذلك المدنس للطاهر. وإن هذا الكلام يعتبر شتيمة فاضحة وإهانة كبيرة، وإذا كان بالطبع قد دعى الله أباً للشر الموجود في داخله. ذلك لأن لقب الأب يعبر عن منشأ ذلك الذى قد ولد منه. وبالتالى فإن الشرير فى الضمير، إذا دعا الله أباه فإنه لن يفعل شيئاً آخر سوى أن يتهم الله بأنه سبب ورأس كل شر فيه. إذن فلا علاقة بين النور والظلمة. كما يقول الرسول (١). بل بالعكس، فإن النور يوجد قرب النور، والعدل قرب العدل، والخير قرب الخير، والذى لا يفنى قرب الذى لا يفنى. كما أن الأشياء المعاكسة لهذه تكون قريبة من بعضها بالتأكيد. وطالما أنه من المستحيل أن تنتج الشجرة الصالحة ثماراً رديئة، إذن فإنه إذا تصادف وتجرأ أحد المتكلمين بالكذب، كما يقول الكتاب المقدس (٢) أن يردد كلمات الصلاة، فإن عليه أن يعرف أنه لا يوجه كلامه إلى الآب السماوى، الله، وإنما إلى الشيطان أبو الشر، لأنه هو الكذاب ويصير أباً للكذب الذى ينشأ داخل كل شخص. فهو الخطيئة وأب للخطيئة. ولهذا السبب فإن كل من

(١) ٢ كورنثوس ٦: ١٤.
(٢) مزامير ٥: ٦.

لديه روح تسيطر عليها الشهوات، يدعوهم الرسول "أبناء المعصية" (١)، وكل من ابتعد عن الحياة يُدعى ابن الموت. وكل من كان أحمقاً ومحنثاً يُدعى ابن البنات التى تسلمن أنفسهن طواعيةً. وعكس ذلك فإن كل من كان ذو ضمير طاهر يُدعى ابن النور وابن الصبح. وكل من يتقوى بقوة الله يُدعى ابن القوة. إذن، فعندما يعلمنا الرب أن ندعو الله فى صلاتنا "أباً"، فهو بحسب اعتقادى لا يفعل شيئاً آخر سوى أنه يحدد بناموس الحياة الفاضلة والسامية. لأن الحقيقة لا تعلمنا أن نكذب، حتى نّدعى شيئاً ليس فينا، وأن نطلق على أنفسنا أسماء لا تنطبق على خليقتنا لكننا حينما نتوجه إلى النقي والعادل والصالح داعين إياه "أبانا"، فإن هذا يعلمنا أن نؤكد على قرابتنا له بواسطة اتباعنا لأسلوب الحياة الصحيح.

ألا ترى إذن كم هو من الضرورى أن نهنئ أنفسنا؟ وما هى نوعية الحياة التى يجب أن نعيشها؟ وما قدر وكم العناية التى يجب أن نُظهرها، ليكون ضميرنا فى وقت ما قادراً على الارتفاع إلى ذلك

(١) أفسس ٢ : ٣.

المستوى الذى يؤهلنا لكى نعبر عن آرائنا بشجاعة ونتجرأ على دعوة الله "أبى"؟ لأنك إذا كنت تهتم بالمال، أو كنت مشدوداً إلى المظاهر الكاذبة فى الحياة، أو كنت تسعى إلى المجد البشرى، أو كنت مستعداً للرغبات الشهوانية، فهل تستطيع أن تنطق بشفتيك مثل هذه الصلاة؟ ما هى الكلمات التى سيقولها بحسب اعتقادك ذاك الذى يبحث فى الحياة وتعلم جيداً أصول الصلاة؟ أظن أننى أسمع الله يقول لذلك الشخص ما يلى: "أنت الذى تعيش حياة فاسدة، أتدعو أبا الكمال أباك؟ لماذا تدنس الاسم الطاهر بلسانك الدنيء؟ لماذا تستخدم كاذباً هذه الكلمة؟ لماذا تهين بهذا القدر تلك الطبيعة الطاهرة؟ فلو كنت أنت ابناً لى، لكان من المفروض عليك أن تتصف حياتك بفضائلى. لكننى لا أجد فيك صورة طبيعتى. إن أوصافنا متعارضة فيما بينها. فما علاقة النور بالظلمة؟ وما هى القرابة بين الحياة والموت؟ وما وجه الشبه بين صاحب الطبيعة الطاهرة والدنس؟ عظيم هو الفرق بين صاحب النعمة ومستغل الظروف. شاسعة هى الهوة بين صاحب الرحمة وقاسى القلب. آخر هو أبو الشر الموجود داخلك. بينما أبنائى يزيّنون بصالحات أبيهم. إن ابن صاحب الرحمة هو من يرحم، وابن الطاهر هو من كان طاهراً.

إن الفساد غريب عن الكمال. وبشكل عام، فإن الصالح يولد من الصالح، والعادل من العادل. لكن منشأك مجهول لدىّ. وبالتالى فإنه من الخطر أن يتجرأ أحد ويصلى تلك الصلاة ويدعو الله أباه، قبل أن يتطهر فى حياته.

الوطن الضائع :

٤ ـ لكن فلنستمع مرة أخرى لكلمات الصلاة، فربما بتكرارنا لها نتمكن من فهم معانيها العميقة. "أبانا الذى فى السموات". من خلال ما ذكرناه آنفاً أتصور أننا قد وضحنا بشكل كافٍ أننا نصبح مقربين من الله عن طريق حياة الفضيلة. لكن يبدو لى أن هذه العبارة تخفى فى داخلها معنى أعمق من ذلك. فهى تذكرنا بالوطن الذى نُفينا منه، والنعيم الذى فقدناه. الكل يعرف قصة الشاب الذى ابتعد عن بيت أبيه واستسلم للحياة التى تليق بالخنازير. يحكى لنا السيد المسيح عن بلاهة الإنسان عندما يقص علينا قصة ابتعاده عن بيته وضلاله. ولا يعود إلى سعادته الأولى إلا بعد أن يعى مأساته الحالية، ويعود إلى وعيه، ويفكر فى كلمات التوبة، التى تشبه كلمات الصلاة. ذلك لأنه قال

"أخطأت (١) إلى السماء وقدامك". ما كان ليذكر فى اعترافه أنه أخطأ إلى السماء إذا لم يكن يؤمن بلا ريبة أن وطنه هو السماء، التى بتخيله عنها قد ارتكب الخطيئة. لذلك فإنه بذكره لاعتراف كهذا، يتحنن أبوه ويركض ويقع على عنقه ويقبله. (والقبلة ترمز إلى القيد العقلانى الذى فُرض على الإنسان، بواسطة الكرازة الشفهية للإنجيل، لأنه تحرر من قيد الوصية الأولى ورفض حماية الناموس). ويُلبسه، ليس حلة أخرى، بل الحلة التى كان يلبسها من قبل وحُرم منها بسبب عصيانه. فهو عندما ذاق الثمرة المحرمة علم أنه عريان. والخاتم بالنقش الذى يحمل فى سطحه المقعر يرمز إلى تسلمه الصورة من جديد. حتى أنه يحمى له قدميه بالحذاء كى لا يموت من لسعة الحية التى تسعى إلى عقبه.

وكما كانت عودة الابن إلى بيت أبيه سبباً فى المثل لتحريك عواطف الأب (والبيت هو السماء حيث يعترف الابن لأبيه أنه أخطأ)، هكذا أعتقد هنا أن الرب فى تعليمه لك كيف تدعو الآب السماوى، يذكرك بالوطن الطيب. وهذا يهدف إلى أن يبعث فى داخلك رغبة فعل الخير لتكون أقوى مما قبل، وأن يردك إلى الدرب الذى يقودك ثانية إلى

---

(١) لوقا ١٥ : ١١ - ٣٢.

الوطن. وليس هناك طريق آخر يرفع الإنسان إلى السماء سوى الابتعاد عن سيئات الأرض وتجنبها. وحسب رأيى فلا يوجد طريق آخر لتجنب السيئات سوى التشبيه بالله. والتشبيه بالله هو أن يصبح المرء عادلاً، وقديساً، وصالحاً. وإذا صاغ فى داخله كل هذه الصفات بوضوح، وبقدر طاقة الإنسان، فإنه بهدوء سينتقل من الحياة الأرضية إلى الملكوت السماوى. ذلك لأنه ليس هو المكان الذى يفصل بين ما هو إلهى وما هو بشرى، حتى يكون من الضرورى بالنسبة لنا أن نجد طريقة ما، ووسيلة ما، لنقل هذا الجسد الثقيل، الجامد الترابى، إلى الحالة الفكرية، اللاجسدية، ولأن الفضيلة تُفضل عن الشر بواسطة العقل. وهذا الانفصال يكمن فى إرادة الإنسان فقط ويتحقق حيث تميل الرغبة. وطالما أن اختيار الخير لا يتطلب جهداً، فإن الاختيار يتبعه النجاح فى خيارك هذا، ويكون باستطاعتك أن تجد نفسك فى السماء فوراً، إذا جعلت الله فى فكرك. لأنه إذا كان سفر الجامعة يقول: "لأن الله فى السماوات" (١)، وأنت أيضاً حسب نبوءة داود "قد التصقت نفسك بالله" (٢).

(١) جامعة ٥ : ٢.

(٢) مزامير ٦٣ : ٨.

فإنه لا مفر لمن اتحد بالله من أن يكون موجوداً حيث يكون الله. وعندما يأمرك الله إذن أن تدعوه في صلاتك "أباك"، فهو لا يفرض عليك شيئاً سوى أن تساوى نفسك بالأب السماوى بواسطة اتباعك لأسلوب الحياة الذى يليق بالله. كما أنه يطلب منا بوضوح فى آية أخرى قائلاً : "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى في السماوات هو كامل" (١).

حيث يكون كنزنا، يكون قلبنا أيضاً :

٥ ـ فإذا أدركنا إذن معانى تلك الصلاة، فقد آن الأوان لكى نُعد نفوسنا ونتشجع وننطق بأفواهنا هذه الكلمات، وبشجاعة الرأى نقول: "أبانا الذى فى السماوات" ذلك لأن ملامح التشابه مع الله تصبح واضحة وتبين أن الشخص قد أصبح ابناً لله. لأنه مكتوب : "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (٢). أى أن الذى يتوخى الكمال فى عمل الخير يقبل المسيح بداخله. كما أن بعض الأوصاف الشريرة إذا اكتسبها أحد فإنه لا يستطيع أن يصير ابناً لله، لأنه

---

(١) متى ٥ : ٤٨.

(٢) يوحنا ١ : ١٢.

سيحمل صورة معاكسة لطبيعة الله. هل تريد معرفة أوصاف الأخلاق الشريرة؟

إنها الحسد، والكراهية، والنميمة، والغرور، والشهوات الجامحة، ومرض الطموح. كل هذه وما شابهها من الصفات تميز ملامح طبيعة الشر. فإذا نادى شخصاً ما قائلاً "أبت"، وقد اسودّت روحه بهذه الصفات، فأى أب سيسمعه؟ بالطبع ذلك الأب الذى يكون نسيباً للمنادى. لكن هذا الأب ليس أباً سماوياً وإنما هو أب أرضى، لأنه سيتعرف بالتأكيد إلى قرابته مع ذلك الذى يحمل أوصاف القرابة الوثيقة. وبالتالى فإن صلاة الإنسان الشرير تصبح دعاءً للشيطان طالما أنه يعيش داخل الشر. فى حين أن دعاء ذاك الذى ابتعد عن الخطيئة وعاش عيشة الصلاح، يصبح دعوة للأب الصالح.

وباقترابنا إذن من الله، فلنختبر أولاً طريقة حياتنا، لنرى ما إذا كنا نملك فى داخلنا شيئاً يجعلنا مستحقين لتلك القرابة، وبعد ذلك فلتكن لدينا الجرأة لننطق بكلام عظيم كهذا. ذلك لأن المسيح الذى يطلب منا أن ندعو الله "أبانا"، لا يغفر لنا أن نقول ذلك كذباً. إذن فالمواطن الذى يستحق القرابة الإلهية، يكون متوجاً فى الاتجاه الصحيح نحو

المدينة السماوية، بأن يدعو ملك السماوات أباً له. وأن يدعو طوباوية السماء وطناً له. وما هو الهدف من النصيحة أن تعطى أهمية لما هو فى الأعالى حيث يوجد الله؟ هناك تؤسس بيتك، وهناك تضع كنوزك، وهناك تنقل قلبك "لأنه حيث يكون كنزك يكون قلبك أيضاً" (١). ذلك لكى تتطلع دائماً إلى جمال الأب، ووفقاً لذلك تسعى بتجميل نفسك. ويقول الكتاب المقدس أن الله لا يفرق بين شخص وآخر. لذلك فلتبعد عن نفسك وصمة التمييز. إن الله لا يعرف الحسد أو أية خطية أخرى. لذلك فلا تدع تلك الشهوات تدمرك، لا الحسد، ولا الغرور، ولا شئ مما يجعل ذلك الجمال المشابه لجمال الله قبيحاً. فإذا كنت مواطناً كهذا، تشجع إذن، وادع الله إليك بصوتك وادعوا ضابط الكل أباً لك. إنه سينظر إليك بعينين أبويتين، وسيُلبسك حلة إلهية، وسيضع خاتما فى يدك، وسيضع فى قدميك الحذاء الذى يشير إليه الإنجيل، الذى يكون مناسباً لك فى مسيرتك الصاعدة نحو السماء. سيجعل موطنك السماء، وكل هذا سيتحقق فى المسيح يسوع ربنا. الذى له المجد والقوة إلى أبد الدهر آمين.

---

(١) متى ٦: ٢١.

الجزء الثالث

«فليتقدس اسمك، فليأت ملكوتك»

التجميل الأخلاقي والروحي :

١ ـ لقد كان ناموس موسى ظلاً للخيرات العتيدة وأعلن عن الحقيقة باستخدام الرموز (١). فالكاهن مثلاً يقوم أولاً بتطهير ورش نفسه قبل دخوله الهيكل لتقديم فروض العبادة لله، وبعد ذلك يلبس الحلة الكهنوتية، حسنة الصنع، المنسوجة بخيوط الذهب، والمصبوغة بالأرجوان وزهور الصباغة الأخرى.

ويرتدى أيضاً صدرة حول صدره، ويعلق الأجراس والشراريب فى طرفها، ويشد فوقها زنار الرداء، ويزين رأسه بالعمامة ويمسح شعره بدهن المسحة. وبعد هذا الإستعداد يدخل الكاهن إلى الهيكل ليمارس الطقوس المقدسة. لكن مشرعنا الروحى، ربنا يسوع المسيح، قد رفع عن الناموس ستاره المادى وأظهر لنا معانى الرموز.

---

(١) عبرانيين ١٠ : ١

وهو قبل كل شئ لا يميز أحداً من مجمل أفراد الشعب ليصلى وحده لله، لكنه يمنح نعمة الكهنوت بالتساوى لكل هؤلاء الذين يريدونها. ومن ثم، فهو لا يزين الجمال الكهنوتى بزينة غريبة من صبغة وتطريز، وإنما يُلبس الكاهن بحلة شخصيته الأصلى. وبدلاً من الأرجوان فهو يرشه بأزهار النعمة والفضيلة. وبدلاً من أن يزين صدره بالذهب، فهو يحليه بالضمير البرئ الطاهر، مزيناً بذلك جمال القلب. ويضع على الصدرة درراً نفيسة تفيض لمعاناً من أشعة الوصايا الإلهية، حسب رأى الرسول. وهو بالسروال يحمى ذلك الجزء من جسده الذى يغطيه.

لأنك أيضاً لن تتجاهل كون أن تُزين ذلك الجزء من جسد الإنسان يكون برداء الحكمة. وهو أيضاً يعلق فى أطراف الشراريب والأجراس الفكرية كما لو كانت معلقة فى رداء. وهذه الأمور يمكن للمرء أن يفهمها بسهولة، هى التصرفات النابعة من الحياة الصالحة، لتظهر مسيرة حياته المناسبة بشكل رسمى. فهو إذن، يعلق فى أطراف ردائه كلمات الإيمان المسموعة بوضوح، بدلاً من الأجراس. وبدلاً من الشراب يعلق استعداده الداخلى للرجاء المستقبلى المتخفى داخل حياة أكثر قسوة.

وبعد كل ذلك يدخل الكاهن إلى داخل الهيكل المقدس. وهذا الهيكل المقدس ليس جماداً بلا حياة، وليس مصنوعاً بالأيادى، لكنه خزانة قلبنا السرية، إذا كان بالفعل منيعاً ضد الخطيئة، وغير مدنس بالأفكار الشريرة. ويزين الرأس أيضاً بزينة العقل الواعى، دون أن يحفر أحرف الرموز على صفيحة الذهب، بل بأن ينطبع الله فى الأفكار المسيرة لنا. وهو يمسح الرأس بمسحة الدهن الغزير الذى تضخه الفضائل من داخل النفس. وهكذا فهو يقوم بإعداد الكاهن ليقدم نفسه ضحية وذبيحة لله بواسطة طقوس العبادة السرية ولا يقدم شيئاً آخر سوى نفسه. لأنه هكذا يستعطف الله، فيدخل إلى ذلك الذى يقاد من قبل الرب بهذه الطريقة، إلى الكهنوت، بعد أن تكون قد ماتت فيه كل رغبة جسدية، مذبوحة بسكين روحية وهى كلمة الله. وبهذه التضحية يضحى بنفسه مقدماً جسده ذبيحة حية، مقدسة، مقبولة لدى الله.

لكن ربما قال أحد أنه ليس هذا هو معنى الصلاة التى نريد تفسيرها، وأننا نفسرها بطريقة اعتباطية. وأنه يجب ألا نعرض أفكارنا على أنها أفكار الصلاة. لذلك علينا أن نتذكر مرة أخرى التعاليم الأولى

التى تعلمنا إياها الصلاة. لأن من يقوم بإعداد نفسه جيداً ليستطيع التجرؤ بكل شجاعة لكى يدعو الله أباً، فهو يكون قد ارتدى ذلك الرداء الدب حدثنا عنه "الكلمة". إنه يكون مسموعاً بواسطة الأجراس ويكون مغطى بالشراشيب وكأنه مغطى بالأزهار. ويشع حول صدره بإشعاع الوصايا الإلهية. ويحمل على كتفيه البطاركة والأنبياء محتفظاً بفضائلهم بدلاً من أسمائهم. ويضع على رأسه تاج العدالة وقد مسح رأسه بالميرون السماوى. ويدخل إلى الهيكل المقدس الموجود عالياً فى السماوات، الذى يكون حقاً فى عمق الأعماق، ولا تدخله أية أفكار مُدنسة ومجدفة.

لقد أظهر "الكلمة" للكاهن طريقة استعداده هذه التى ذكرناها. ولقد آن الأوان أن نشرح بالتفصيل الدعوة نفسها إلى الله، التى تحددت لكل من يدخل إلى الهيكل المقدس. لأننى لا أعتقد أن كلمات الصلاة تكون مفهومة لدينا إذا لفظت على عجل.

أليس الله قدوس وقوى ؟

٢ ـ يقول "فليتقدس اسمك، فليأت ملكوتك" ماذا تعنى هذه الكلمات بالنسبة لى فى وضعى الحالى؟ قد يتبادر هذا السؤال لذهن شخص ما، يُحقر نفسه من قبل الخطايا التى ارتكبها، أو ذلك الذى يجاهد لتجنب الخطيئة التي تسيطر عليه، داعياً الله ليساعده في ذلك، لأنه يرى أمامه دائماً ذالك الذى يحاربه بواسطة التجربة. فمن جهة فإن الغضب يضلل العقل عن الطريق الصحيح. ومن جهة أخرى فإن شهوات الخطيئة تشل قوى الروح. كما أن الطمع، والغرور، والأنانية، والكراهية، وكل ما تبقى من سجل أعدائنا تصيب بالعمى أعين الروح. كما لو كانت جيشاً آخر محتشداً في صف دائرى يهدد الروح بأكبر الأخطار. إذن فكل من يجاهد ليميت تلك الشهوات بمعونة الله، أى كلمات أكثر ملائمة يمكنه أن يستخدم ؟

أليست تلك الكلمات التى نطق بها داود، فقال : "اللهم إلى تنجينى يارب إلى معونتى أسرع ويخجل طالبو نفسى. ليرتد إلى خلف ويخجل المشتهون لى شراً" (١). وقال أيضاً "أعطنا العون فى أحزاننا"،

(١) مزامير ٧٠ : ١ – ٢.

وكل ما شابه ذلك من أقواله التي يمكن أن تستدعي قوة الله ضد الأعداء ؟ ولكن الآن، ماذا يحدد ناموس الصلاة ؟ "فليتقدس اسمك".

إذا لم أكن أنا الذى نطقت بهذه العبارة فهل من الممكن ألا يكون اسم الله مقدساً؟ "فليأت ملكوتك". لماذا؟ أهناك شئ ما خارج سيطرة الله؟ أليس هو الذى يحمل السماء كلها في كفه كما يقول أشعياء (١) ؟ أليس هو الذى يمسك بالأرض بقبضته، ويكيل بكفه المياه؟ ألا يحتضن كل الخليقة الأرضية والسماوية؟ إذن فإن سلطا الله مقدس دائماً ولا يفلت شئ من قوة السيطرة الإلهية. وعلاوة على ذلك فإن من يظهر بين كل الأشياء كاملاً لا نقص فيه، يكون ضابطاً لكل شئ ولا يحتاج إلى مزيد من التقديس. ولكن عندئذ ماذا يكون معنى الدعاء : "فليتقدس اسمك يأتى ملكوتك"؟ هل يكشف الرب عن عقيدة ما بعبارة الدعاء هذه؟ هل هو يقول أن الإنسان عاجز عن كسب الخير، ولذلك فهو لا يستطيع تحقيق ما يسعى إليه، إذا لم تحقق القوة الإلهية الخير بداخلنا؟ إن ذروة كل الخيرات هى أن يمجد اسم الله فى

---

(١) أشعياء ٤٠ : ١٢.

حياتي. لكن الأجدر بنا أن نفضل المعنى الأعمق للدعاء، ذاكرين المعنى العكسى.

السبب الذى يدعونا لمباركة اسم الله، لا التجديف به :

٣ ـ لقد سمعت أن الكتاب المقدس فى بعض آياته يدين هؤلاء الذين يتسببون فى التجديف على الله. فإنه مكتوب أنه ويل لهؤلاء الذين بسببهم تجدف الأمم باسمي وهذا يعنى أن الذين لم يؤمنوا بعد بكلمة الحق يتطلعون إلى حياة هؤلاء الذين قبلوا سر الإيمان. وعندما يحدث أن البعض يكون لديهم اسم الإيمان بينما تكون حياتهم مليئة بالخطايا على عكس هذا الاسم، ومثلما أن الطمع يدل على أحد عبدة الأصنام أو آخر عديم الوقار بسكره وعربدته يتمرغ فى وحل الضلال كالخنزير، فعند ذلك يستطيع غير المؤمنين أن يتكلموا عنه سوءاً بكل سهولة. وهم لن يوجهوا اتهاماتهم ضد الميول الشريرة لهؤلاء الذين يعيشون حياتهم عبثاً، لكنهم سيقولون أن إيمانهم يعلمهم القيام بتلك الأعمال السيئة وما كان أحد يتكلم بالسوء عن الذى عرف الأسرار المقدسة، أو عن طماع، أو لص، أو عن صاحب شر آخر، لو كانت الخطيئة بالنسبة لهم متفقة مع ناموسهم. لذلك فإن الرب يوجه لهؤلاء

تهديده المرعب قائلاً : "الويل لكم لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم" (١).

وإذا فهمنا ذلك فقد آن الأوان لكى نفهم المعنى المضاد لما ذكرناه. أى أنى أعتقد أنه يجب قبل كل شئ أن نصلى وأن يكون المطلب الأساسى لصلاتنا ألا نجدف على اسم الله فى حياتنا، وإنما أن يتمجد ويتقدس اسمه. فهو يقول لنا ليتقدس اسمك ملكوتك الذى أعطى لى "لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات" (٢). لأنه من هو ذلك الصلب القوى وغير المعقول لتلك الدرجة التى عندما يرى فيها، فى وجوه المؤمنين حياة طاهرة تم تحقيقها بالفضيلة، خالية من آثام الخطيئة، بعيدة عن كل فكر شرير، مستنيرة بالحكمة، متحلية بالتواضع، تواجه الرغبات بشجاعة دون الخضوع للذات الجسدية، مبتعدة قدر الإمكان عن شعور لذة الخمول والكسل الذى يولده الغرور، تشارك فى الحياة بما هو ضرورى فقط، تستند إلى الأرض بأطراف أقدامها دون أن تجذبها تلك الحياة الفانية بملذاتها ومغرياتها، بينما على

(١) رومية ٢ : ٢٤، أشعياء ٥٢ : ٥

(٢) متى ٥ : ١٦

العكس عندما يرى المؤمن مترفعاً عن كل غش تولده الأحاسيس، فإنه ينافس الملائكة، وبالرغم من وجوده ضمن الجسد فإنه يعتبر اكتساب الفضيلة ثروته الوحيدة، وقرابته من الله هو النسب الفضيل الأوحد، وضبط النفس القيمة والسلطة الوحيدة، وأن يكون غير خاضع للشهوات الإنسانية، وأن يحزن على إمتداد فترة الحياة الجسدية، وأن يسرع للوصول لميناء الراحة، كما يسرع كل هؤلاء الذين تعبوا من أمواج البحر، لذلك فأنا أتساءل إذن من هو الذى سيرى حياة كهذه دون أن يمجد اسم الله الذى تم إعطاؤه إليه؟ وبالتالى فعندما نقول فى الصلاة: "فليتقدس اسمك" فإن معنى هذه الكلمات حسب رأيى هو "فلأصبح بعونك خالى من العيوب"، وعادلاً، أهاب الله، بعيداً عن كل شئ شرير. وأن أقول الحق، وأمارس العدالة، واحكم باستقامة، واسطع بالتعقل، وأتزين بكل ما هو بعيد عن الفساد، وأن أتحلى بالحكمة والفهم. وأن أفكر فى السماويات وأزدرى الأرضيات، وأن أضئ عالمى الداخلى على مثال الملائكة. وكل ما شابه من تلك المعنى يتضمنها مطلب صلاتنا القصيرة التى نوجهها إلى الله بقولنا: "فليتقدس اسمك". لأنه لا توجد طريقة أخرى يتمجد بها الله من الإنسان، سوى أن يؤكد الإنسان بفضائله على القوة الإلهية المولدة للخيرات.

الحياة، والسلام، والفرح :

٤ ـ وبالعبارة التالية يصلى أن يأتى ملكوت الله. إذن، هل هو يطلب الأن أن يستحق ملك الكل لقب الملك؟ هذا الذى كان، هو كذلك دائماً لن يتغير؟ الذى يبقى ثابتاً أمام أى تغير؟ الذى ليس بحاجة للإنتقال إلى ما هو أفضل؟ إذن ما هو الغرض من الدعاء الذى به نطلب أن يأتى ملكوت الله؟ سيعرف المعنى الحقيقى لهذه العبارة أولئك الذين وحدهم يكشف لهم روح الحق الأسرار الخفية. ولكن، نحن نعطى لهذه العبارة التفسير التالى : واحدة هى فقط، تلك القوة السيادة الحقيقية، التى تعلو على كل ما سواها، التى تمسك بزمام التحكم فى الكون، إنها تحكم دون ممارسة للعنف وللطغيان ودون أن تضع مواطنيها تحت نير عبوديتها بالتخويف وبالضغوط. ذلك لأن الفضيلة يجب أن تكون حرة، ولا يقيدها أى خوف، وأن تختار عمل الخير بحرية. وذروة أعمال الخير كلها هو الخضوع لسلطان ذاك الذى يمنح الحياة.

وبالإغواء تم خداع الإنسان فى الحكم على الخير، وهكذا فإن إرادتنا قد أخذت ميلاً نحو الشر. وسيطر كل شر على حياة الإنسان. وحكم بالموت على الطبيعة البشرية بطرق عديدة، ذلك لأن كل شكل

من أشكال الشر يصبح طريقاً يؤدى إلى الموت. ولأننا وجدنا تحت نير سلطة طاغية كهذه، وبثورات الشهوات، خضعنا للموت لذلك فإننا حسناً نصلى طالبين أن يأتى إلينا ملكوت الله. لأنه خلافاً لذلك من غير الممكن أن ينجلى طغيان الفساذ والشر وإذا لم يحل علينا وفى مكانه سلطان القوة التى تهب الحياة. إذن نحن عندما نطلب أن يأتى ملكوت الله إلينا، نترجى الله طالبين منه التالى : ليتك تنجينى من الفساد. ليتك تحررنى من الموت. ليتك ترفع عنى قيود الخطية. ليتك لا يكون للموت بسلطان علي. لتبتعد عنى ضغوط طغيان الشر. ولا تتسلط على الحرب ولا تجرنى أسيراً الخطية، ولكن فليأت إلى ملكوتك، لكى تبتعد عنى، بل وتختفى كل الشهوات التى تسيطر الآن وتحكم. لأنها ستنقشع كما ينقشع الدخان وستذوب كما يذوب الشمع فى النار. ذلك لأن الدخان الذى يتشتت في الهواء لا يترك وراءه أى أثر له، وكذلك الشمع الذى يسقط فى النار يتحول هو أيضاً إلى بخار وهواء بعد أن تلتهمه الشعلة. كذلك يحدث الأمر نفسه عندما يحل فينا ملكوت السماوات التى تسيطر علينا الآن. ذلك لأن الظلمة لا تحتمل وجود النور، وكذلك المرض، فهو يتراجع أمام حلول الصحة. فالشهوات

لا تنشط عندما تنعدم الرغبات. إن الموت يخفينى، وينعدم الفساد عندما تتملكنا الحياة ويدوم الخلود.

"فليأت ملكوتك". كم هو هذب صوت هذا الدعاء الذى نتوجه به إلى الله : فلتتفرق صفوف الأعداء ولتتوقف الحرب التى يشنها الجسد ضد الروح، ولا يكون الجسد وسيلة للهجوم على الروح، وليظهر أمامى سلطان الملكوت، وجند الملائكة والآلاف من رؤسائها، وعشرات الألوف من أولئك الذين يقفون فى الجهة اليمنى، لتسقط فى الجهة المقابلة جموع الأعداء. إن الخصم عدده كبير، ولكن فقط بالنسبة لهؤلاء الذين يبقون محرومين من عونك، وهو مخيف ولا يهزم لذلك الذى طالما يبقى وحيداً يتلقى الضربات. ولكن عندما يظهر ملكوتك يهرب الحزن والتنهد، ويحل مكانهما الحياة والسلام والطمأنينة.

مساواة الابن والروح القدس :

٥ ـ أليس الشئ نفسه يُفسر بوضوح أكثر من قبل لوقا ؟ فهو يقول أن من يطلب مجئ الملكوت، يترجى عون الروح القدس. لأنه فى إنجيله بدلاً من أن يذكر "فليأت ملكوتك" فهو يقول "فليأت روحك القدس

إلينا ليطهرنا". ماذا يستطيع أن يقول هؤلاء الذين يجدفون على الروح القدس؟ وإلى أى حجة يستندون ليقللون من مكانة الملكوت فيجعلوه عبودية حقيرة؟ فما يدعوه لوقا بالروح القدس يطلق عليه متى اسم الملكو. كيف إذن يمكن لأعداء الله أن يقللون من شأنه ويجعلونه مخلوقاً مستعبداً، ويضعونه فى مستوى طبيعة الملوك بدلاً من وضعهم له فى مستوى طبيعة الملك؟ إن المخلوق يكون مستعبداً، ولكن المستعبد لا يحكم، أما الروح القدس فهو الملكوت. وهو بالتالى يختلف عن المخلوق، لأن من يحكم لا يُحكم، ومن لا يُحكم لا يكون مخلوقاً. إن العبودية صفة المخلوق. إذاً فإذا كان الروح القدس يحكم، فإن كل من لم يتعلموا بعد ولو حتى كيف يصلون، وكل الذين يجهلون من هو الذى يطهر الدنس، لماذا إذن يرفض هؤلاء ملكوته؟ وبرغم ذلك، فمن هو الذى يتحمل أعباء سلطان الملكوت؟ إنه يقول "فليأت روحك القدوس إلينا ليطهرنا". إذن فإن التطهير وغفران الخطايا هما قوة وعمل يخصان الروح القدس، وفقاً لما يؤكده لنا الإنجيل. وبالتالى فإن الإنجيلى الذى يقدم شهادته على قوة الروح القدس لغفران الخطايا، يشهد لنا فى الوقت ذاته على ألوهيته بلا شك. الشئ نفسه يؤكده لنا الرسول عن

المسيح ابن الله الوحيد، الذى جلس على يمين مجد الآب عندما حقق تطهيرنا من الخطايا. إذن، واحد هو العمل الذى يقوم به الاثنان. أى عمل الروح القدس الذى يطهر من الخطية، وعمل المسيح الذى يحقق التطهير من الخطايا. لكن هذان اللذان يكون عملهما واحداً، تكون طبيعتهما أيضاً واحدة. لأن كل عمل يأتى نتيجة لقوة. فإذا كان العمل واحداً والطبيعة واحدة، فكيف يكون بإمكاننا التفكير بوجود اختلاف فى الطبيعة، هناك حيث لا يوجد اختلاف فى القوة أو فى العمل؟ وكما يحدث تماماً فى خواص النار، أى الخاصتين، الحارقة والمضيئة. فهاتين الخاصتين لا يمكن القول أنهما منفصلتين، إذ أنهما توجدان فى علاقة وطيدة بينهما. وكذلك فإن كل إنسان عاقل لا يمكنه أن يفرض أن هناك فرق ما فى طبيعتهما، طالما أنه يعرف من الكتاب المقدس أن للابن والروح القدس عملاً واحداً.

ثلاثة أقانيم، وجوهر واحد :

٦ ـ من كل ما ذكرناه سابقاً، نستطيع أن نؤكد لأصحاب النوايا الحسنة على أن الآب والإبن لهما نفس الطبيعة. وأنه من المستحيل أن يطلق اسم الله على اثنين ينتميان إلى جنسين مختلفين. كما أن

المصطبة الخشبية لا يقال لها "ابنة النجار"، وأنه ليس هناك عاقل يدعى ان البناء بنى طفلاً، لكن بلقب الآب يتم التأكيد على القرابة الطبيعية للابن أيضاً. وبالضرورة، فإنه عندما يكون الاثنان ذوى قرابة بشخص ثالث، عند ذلك لا يكون هناك فرق بينهم. والابن بالطبع متحد بالآب. وهكذا انطلاقا من التساوى في عمل طبيعة الابن والروح القدس ثم إثبات أن الروح القدس أيضاً ليس غريباً عن الابن. ونتيجة لما سبق، قد تم أيضاً إثبات إن للثالوث الأقدس طبيعة واحدة، دون أن تلغى فى أى أقنوم صفاته الخاصة به عندما يشار إليه بمعزل عن الأقانيم الأخرى، وكذلك دون أن يتم الخلط بين صفات الأقانيم. إلى أية درجة وصل عدم الإدراك بهولاء الذين يعارضون الروح القدس ويدعون أن الرب هو عبد، أى أنه مخلوق. حتى أن بولس برأى هؤلاء لا يمكن الإعتماد بأقواله عندما يؤكد قائلاً : "وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب، هناك حرية" (١). أو ربما أن عبارة "فليأت" يفهمونها على أنها انتقاض للقيمة ؟ ومن جهة أخرى، فإنهم لم يسمعون أقوال النبى العظيم داود الذى يدعو الآب أيضاً إلى جنبه قائلاً : "فليأت لتخلصنا". كيف يكون

(١) ٢ كو ٣ : ١٧

إذن، قولنا للآب "فليأت" قولاً خلاصياً، وكيف يكون تجديفاً أن نقول للروح القدس "فليأت"؟ أو ربما أنهم يرون خاصة تطهير الخطايا كإثبات لانتقاص القيمة ؟ ولكن فليسمعوا اليهود عديمى الإيمان وهم يقولون ثارخين أن غفران الخطايا ميزة خاصة بالله وحده، عندما يقولون عن الآب "من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده" (١).

لكن إذا كان الآب يغفر الخطايا، فإن الابن يحمل خطايا العالم (٢)، والروح القدس يطهر من دنس الخطيئة لكل من يقبله فى داخله، فماذا يمكنهم أن يقولوا أولئك الذين يحاربون بضراوة حياتهم ذاتها؟ ولكن فليأت إلينا الروح القدس، وليطهرنا، وليجعلنا مستحقين لتلك المعانى التى تليق بالله. تلك المعانى التى كُشفت لنا بالصلاة من قبل صوت مخلصنا الذى له المجد إلى أبد الدهور، آمين.

---

(١) لو ٥ : ٢١

(٢) يو ١ : ٢٩ - ٣٤

الجزء الرابع

«ولتكن مشيئتك»

الصحة والمرض :

١ ـ سمعت عن طبيب ذى خبرة طويلة، كان يفحص باستمرار مختلف الحالات المتعلقة بالصحة. وليس من المستبعد أن يكون ما قاله عن تلك الحالات مفيداً لنا أيضاً فيما يتعلق بصحة النفس.

لقد كان يقول إن السبب الرئيسي للمرض يكمن في تجاوز الحدود من قبل أحد العناصر الموجودة فى داخلنا. ومن جهة أخرى أيضاً كان يرى أن علاج السبب المرضى يكمن فى إعادة العناصر التى انحرفت عن موقعها إلى مكانها الطبيعى. ولهذا كان يعتقد أنه يجب أن ننتبه لمعرفة أى عنصر من هذه العناصر التى تتحرك داخلنا بشكل أكثر عشوائية يُضعف بسيطرته تأثير العنصر المقابل الذى يعطينا الصحة. ذلك لأنه إذا سيطر العنصر الحار، فهو كان يعتقد أنه وجب أن تتم مساعدة العنصر المكبوت وأن تتم بحذر ترطيب ذلك الذى يكون فى طريقه للجفاف. وذلك خوفاً من أنه إذا نقصت، فإن هذا العنصر سيذبل تماماً

وسيبرد بداخله ما هو حار وسيفنى تلقائياً. وكذلك فإذا تجاوز أحد العناصر الأخرى التى نراها متقابلة الواحدة مع الأخرى حدوده فى داخلنا، فإننا نقدم مساعدة معارفنا الطبية لذلك العنصر الذى يكون ضعيفاً ليقف أمام العنصر الأقوى. وعندما يتم ذلك، فلا شئ سيخل بالتوازن عند ذلك بالتوازن بين العناصر، وستعود الصحة إلى الجسد، إذ أن التوازن الطبيعى لن يختل فى العناصر الممتزجة.

ولكن لماذا كانت أنا بحاجة إلى تلك المقدمة الطويلة؟ لربما لم يكن مثالنا بلا جدوى إلى الدرجة التى نتصورها، بل أنه قد يكون أقرب إلى موضوعنا الذى نقوم بدراسته ذلك لأننا مهتمون بالعبارة : "فلتكن مشيئتك". وفى ما يتبع سنقوم بشرح السبب الذى من أجله ذكرنا هذا المثال الذى استعرناه من الطب.

النور يزيح الظلام :

٢ ـ فى البدء كان عقل الإنسان فى حالة الصحة التامة. أى عندما كانت حركات الروح فى داخلنا موزعة بشكل متوازن بحسب ما تمليه علينا الفضيلة. ولأن ما يتبع الرغبات قد سيطر على باقى العناصر، فقد

خضعت له باعتباره الأقوى، تلك الميول التى تعارضه، أى البتولية، وهكذا لم يكن هناك ما يعتق الرغبة للتحرك نحو الأمر غير المسموح به. ومن الرغبة تجسدت الخطيئة فى الطبيعة الإنسانية، أى المرض الذى يجلب الموت إذن فالطبيب الحقيقى لأمراض النفوس، الذى أصبح بشراً لأجل من هم مرضى، يعيدنا إلى الصحة الروحية من جديد بواسطة معانى الصلاة، وذلك بانتزاعة للأسباب التى تولد المرض. وصحة الروح هى إتمام الإرداة الإلهية. كما أن العكس صحيح، أى أن مخالفة الإرادة الإلهية هى مرض للروح يقود إلى الموت. لكننا نحن مرضنا بإهمالنا لنعيم الفردوس، وذلك عندما شربنا سم العصيان، ولذلك خضعت الطبيعة إلى ذلك المرض المميت. ولهذا السبب جاء الطبيب الحقيقى ليعالج الشر بما هو معاكس له وفقاً لمعطيات الطب. وهو يشفى من جديد كل من أصيبوا بهذا المرض بسبب ابتعادهم عن إرادة الله، وذلك بشدهم نحو المشيئة الإلهية. ذلك لأن كلمات الصلاة هى دواء للمرض الذى أضر الروح. فالذى يصلى قائلاً : "فلتكن مشيئتك"، فهو يصلى وكأنه يعانى من الآلام الروحية. ومشيئة الله هى خلاص البشر. ولكن لكى نصل إلى ذلك الحد بحيث نقول لله : "فلتكن

مشيئتك* لى أيضاً، وجب علينا قبل ذلك أن نرفض طريقة الحياة تلك التى هى غريبة عن مشيئة الله. وبرفضنا هذا نقول الآتى : بحياتى السابقة حققت بداخلى مشيئة الشيطان وأصبحت عبداً للمستبد الشرير، منفذاً، كما لو كانت جلاداً آخر، لقرار الإدانة التى أصدره العدو بحقى. ولهذا ارحمنى فأنا أهلك. ولتكن إرادتك الحسنة بأن تحقق بى مشيئتك أخيراً. وكما ينجلى الظلام عندما ينتشر النور فى الكهوف المظلمة، هكذا تختفى كل نزعة شريرة محرمة للإرادة، عندما أتبع أنا مشيئتك إن الحكمة مثلاً ستوقف حركة العقل المتحرك نحو الشر والنزوات. وسيعمل التواضع على إخفاء الغرور. والبساطة ستعالج مرض التكبر. بينما ستبعد المحبة عن الروح عدداً كبيراً من السيئات المعادية لها. ذلك لأن المحبة يتجنبها كل من الكراهية، والحقد، والغضب، والنزعة إلى الغيظ، والقابلية للغضب، والنميمة، والتملق، والذكريات المفجعة، والرغبة فى مقابلة الأذى بمثله، وغليان الدم من الغضب نحو القلب، والنظرة الحاقدة. وكل هذه الأشياء التى هى من العناصر الشريرة تختفى عندما يكون لديك دافع المحبة. وهكذا يدفع عمل مشيئة الله عبادة الأوثان بعيداً، وأعنى بعبادة الأوثان شيئين. الأول هو الهوى بالأوثان

نفسها، وكذلك الهوس بالفضة والذهب الذين يصفهما كلام النبوة بآلهة الأمم.

إذن، فلتكن مشيئتك، لكى تزول مشيئة الشيطان. ولماذا نصلى نحن من أجل أن تحقق لنا من الله المشيئة الصالحة؟ نحن نصلى هكذا لأن الطبيعة البشرية لا تقوى على صنع الخير، طالما أنها سبق لها وأن جردها الشيطان من قواها من قبل الشر. وكذلك لأنه من العسير على الإنسان أن يعود إلى الخير بالسهولة نفسها التى يقدم بها على الشر. ويمكننا فهم هذه الفكرة بسهولة وإذا نظرنا على ما ينطبق على الأجساد. ذلك لأن الجسد المريض لا يستعيد صحته بالسهولة نفسها التى يسقط بها صحيح الجسم فى هوة المرض. فذلك الذى كان قبل قليل صحيح الجسم مثلاً، قد يواجه فى العديد من الأحيان خطر الموت من مجرد جرح صغير. كما أن التهاباً، أو ضعفاً تسببه الحمى يشل كل قوة الجسد فتذمره جرعة صغيرة من السم بالكامل أو إلى حد كبير. عضة الأفعى، أو لسعة الحيوانات السامة، أو السقوط، أو تناول كمية كبيرة من الطعام أكبر مما يمكن للجسم أن يهضمها، أو شئ آخر مشابه، قد يتسبب بشكل مباشر فى الإصابة بالمرض وحتى الموت. لكن الشفاء من

المرض يتحقق بعدد كبير من المحاولات والصعوبات والابتكارات الطبية، هذا إذا كان من الممكن تحقيقه. ولذلك فنحن لسنا بحاجة لمن يساعدنا إذا أردنا التوجه إلى الشر، لأن الشر يكتمل بطريقة تلقائية ضمن إرادتنا. بينما الإرادة إذا توجهت نحو الخبر، نكون عندئذ بحاجة إلى الله الذى يقود الرغبة لتحقق وتصبح عملاً. ولهذا فإننا نقول فى صلاتنا : لأنك تريد التعقل، بينما أنا أتبع الجسد، وتستعبدنى الخطيئة، لذلك فلتتحقق مشيئتك الخيرة هذه لى، بقوتك أنت، وكذلك فلتتحقق العدالة والتقوى والإبتعاد عن النزوات. لأن كلمة "مشيئة" تعنى كل الفضائل بشكل عام. وكل شئ يمكننا وصفه بكلمة "خير" يمكن أن نعنى به مشيئة الله.

رفع الأرض إلى مكانة السماء

٣ ـ لكن ما هو معنى إضافة العبارة "كما فى السماء كذلك على الأرض"؟ أعتقد أن هذه العبارة تخفى فى مضمونها إحدى أهم العقائد. وهى ـ بمساعدة دراسة أسرار الخلق ـ تعطينا درساً عن المفهوم الذى يليق بالله. وبهذا الذى أقوله أعنى ما يلى : إن الخلق كله يقسم إلى قسمين أى الطبيعتين اللاجسدية والجسدية. والطبيعة اللاجسدية هى

الطبيعة الملائكية. أما الطبيعة الأخرى، أى الجسدية فهى نحن البشر. إذن الطبيعة الذهنية موجودة فى المجال السماوى، وتبقى فى أماكن أثيرية لا مادية، طالما أنها خفيفة وسهلة الحركة لأنها منفصلة عن الجسد الثقيل، الذى أعنى به ذلك الجسد الذى نملكه نحن، الذى يبقى منجذباً نحو الأرض. لكن الطبيعة الأخرى اتخذت رغماً عنها العيش الأرضى هذا، وكأنه طين مترسب، وذلك بسبب قرابتها لجسدنا الطينى. وبالطبع فأنا لا أعرف تماماً ما تهدف إليه مشيئة الله بكل هذه الأمور. ربما كان ذلك من أجل أن يربط كل الخليقة ببعضها ربطاً متيناً بشكل تكون فيه المخلوقات الموجودة على الأرض لعا علاقة بأعالى السماوات، ولا تكون المساء أيضاً معزولة تماماً عن المخلوقات الموجودة على الأرض. وأن يكون هناك اتصال بواسطة الإنسان بين العناصر الموجودة فى كل طبيعة مع العناصر المحددة فى الطبيعة الأخرى. أى أن العنصر الفكرى فى الروح التى يظهر أنها لها قرابة وشبه بالقوى السماوية، يسكن فى الأجسام الأرضية. وهذا الجسد الطينى ينتقل مع الروح ليسكن فى المجال المساوى، عندما ستحين ساعة إعادة إصلاح الكون لأنه كما يقول الرسول بولس "سنُخطف جميعاً فى السحب

لملاقاة الرب" (١). فإما لهذا الهدف، أو لهدف آخر، تهدف حكمة الله. فكل الطبيعة المنطقية مقسومة إلى جزأى هذه الحياة المزدوجة. والطبيعة اللاجسدية أخذت الطوباوية السماوية نصيباً لها، أما الطبيعة الجسدية فهى تدور حول الأرض بسبب قرابتها من الأرض. لكن الرغبة تجاه الخير والصلاح مزروعة فى صميم كل طبيعة وبنفس الدرجة. والله الذى يعلم كل شئ قد كون كلاً من الطبيعتين بشكل تكون كل واحدة منها مستقلة تماماً، وتتحكم بذاتها، ولها مطلق الحرية فليست تحتاج إلى شئ، إلى درجة أن كل شئ قد أنعم عليه بالمنطق والفكر الذى يغلب عليه الإرادة الحرة. والحياة السماوية من جهة فهى نقية تماماً من الشر ولا يحدث لها شئ مما يعتبر سلبياً. أما الحياة الأرضية، حيث يوجد الجنس البشرى، فهى مليئة بكل نزعة وميل نحو الخطيئة. ولهذا السبب يعتبر كتاب الوحى الإلهى ملكوت السماوات، حيث تعيش جموع القديسين، مكاناً طاهراً من كل شر ونقياً من كل شوائب الخطيئة.

(١) أنظر ١ تسالونيكى ٤ : ١٧

وهكذا فإن كل شر قد نبت فى الجوار عدا الخير قد ملأ هذه الدنيا الفانية وكأنه طمى ووحل، حالما الخير قد ترك المكان. وبه يتلوث الجنس البشرى ويعاق من مثل هذا الظلام أن يرى بوضوح نور الحقيقة الإلهية. إذن، فلأن الحياة السماوية هى من جهة حياة نقية وخالية من النزوات، بينما الحياة الأرضية الحقيرة هذه مغمورة بكل أنواع النزوات والمتاعب، لذلك فإنه من الواضح أن الملكوت السماوى باعتباره نقياً من كل شر، يمكن نيله بإتمام كل مشيئة خير لله. لأنه حيث لا يوجد الشر، يكون من الضرورى أن يتواجد الخير. ولكن لأن حياتنا قد انحطت بعيداً عن التواصل مع الخير، فهى قد انحدرت فى الوقت ذاته بعيداً عن الإرادة الإلهية. ولذلك فإننا نتعلم من الصلاة أن نطلب تنقية حياتنا من الشرير، إلى تلك الدرجة، حتى تتحقق من قبلنا مشيئة الله بدون صعوبة، حتى تتحقق من قبل المخلوقات التى تعيش فى السماء. أى بمعنى آخر يمكن أن يقول المرء : "حتى تتحقق مشيئتك من قبل العروش والسلاطين والهيئات والسيادات ومن كل القوى الآتية من خارج هذا العالم"، دون أن يعرقل الشر عمل الخير، هكذا ليتم الخير من قبلنا بشكل تام لتحقق مشيئتك بشكل كامل، طالما أن الشر سيكون

قد اختفى تماماً. ولكن يمكن لأحد ما أن يطرح التساؤل التالى :
كيف يكون بإمكان هؤلاء الذين كان نصيبهم أن يعيشوا حياة الجسد، أن يصلوا إلى نقاوة الملائكة، عندما تكون الروح غارقة ضمن ألوف المشكلات الناجمة عن حاجات الجسد؟ لكى أجيب عن هذا التساؤل أعتبر من الضرورى أن أوضح فيما يلى كل أمر قديبدو صعباً بالنسبة لتلك المحاولة المذكورة.

العيش بتقشف وليس ببذخ :

٤ ــ أعتقد إذن أنه بما سبق وذكرت، أى أنه عندما يأمرنا الرب يسوع أن نطلب خبزنا كفاف يومنا، فهو يكشف لنا حقيقة ما، يكون المتقشف وفقاً لها مساوياً ــ وحسب درجة نقاوته من النزوات ــ لمن لا حاجات له بالطبيعة. وبالطبع فإن الملاك لا يصلى إلى الله ليعطيه خبزاً، لأن لديه طبيعة خالية من حاجة كتلك. لكن الإنسان قد تلقى الأمر بأن يطلب خبزاً، لأن كل شئ يفرغ يكون بحاجة بالضرورة إلى ذلك الشئ الذى سيملأ الفراغ. كما أن طبيعة الحياة البشرية طبيعة تجرى وتذهب وتطلب دوماً إملاء ما تم إخراجه منها. إذن فإن كل من يسعى إلى خدمة الطبيعة، دون أن يتحمل أى مشقة تزيد عن الضرورى من

المشقات التافهة، فهو لا يقل كثيراً عن الملائكة. ذلك لأنه يتمثل بهم في حريتهم وعدم ارتباطهم فى أية حاجة، من خلال كونه متقشفاً إلى تلك الدرجة التى يقدر عليها. لذلك تلقينا الأمر بأن نطلب فقط ذلك الذى يكفينا لكى نحافظ على طبيعتنا الجسدية. وعندما نصلى إلى الله قائلين : "أعطنا الخبز" فإننا لا نطلب فى ذلك الملذات، ولا الغنى، ولا الملابس المزينة بالزهور، ولا الحلى الذهبية، ولا الجواهر النفيسة، ولا الأوانى الفضية، ولا نطلب أن نمتلك الأرض، ولا المناصب العسكرية ولا الزعامة الحربية ولا حكم الأمم. ونحن أيضاً لا نطلب أن تكون لدينا قطعان من الخيول والبقر، ولا أعداد كبيرة من حيوانات أخرى، ولا نطلب أن نحصل على عدد وفير من الماديات، ولا حتى الامتيازات فى المجامع العامة، أو قصائد المديح المكتوبة، أو الصور، ولا نطلب أيضاً الأقمشة الحريرية النفيسة، أو حفلات الموسيقى، أو أى شئ آخر مشابه، ذلك لأن كل هذه الأشياء تضلل النفس عن أهم وأقدس أعمالها. وإنما نحن نطلب من الله الخبز، فهل ترى مدى شمولية هذه التعاليم؟ بهذه الكلمات ينادى بوضوح هؤلاء الذين يفهمون : "قفوا أيها البشر ولا تمتدوا إلى أشياء فانية فى رغباتكم توقفوا ولا تزيدوا من أسباب الألم على حسابكم".

إن دينك أنت تجاه الطبيعة دين صغير. أنت مدين تجاه جسدك بالغذاء فقط، وهو شئ متوفر وتحصل عليه بسهولة، إذا كنت بالطبع تهدف فقط إلى إشباع حاجتك. فلماذا إذن تزيد من الضرائب على نفسك ؟ لماذا استعبدت نفسك بعبء هذه الديون ؟ لماذا أصبحت تبحث عن الفضة فى المناجم، وتستخرج الذهب، وتفتش عن المادة الشفافة ؟ هل تفعل ذلك فقط من أجل أن تأكل معدتك جيداً؟ أمعدتك هى ذلك المحصل الذى يحصل الضرائب دون توقف؟ إن المعدة تحتاج فقط إلى الخبز الذى يؤمن حاجات الجسد الأساسية. ولكن تقوم برحلات تجارية إلى الهند وتقاسى أتعام الأمواج فى بحار البربر، وتسلم نفسك إلى الرحلات البحرية التى تستغرق سنة كاملة لكى تجعل الطعام شهياً بما يمكنك أن تجلبه معك من هناك. لكنك لا تفكر أن الإحساس بحلاوة الطعم لا يكاد يصل إلا إلى سقف الحلق، كما أن ذلك الطعام الذى يتحلى بمظهر جذاب ورائحة ذكية وطعم شهى يعطى الأحاسيس شعوراً جميلاً للحظات قليلة تمر بسرعة. وأنت لا تحس بأى فرق بما يدخل جوفك إلى ما وراء سقف حلقك، حيث أن الطبيعة تغير كل شئ بالتساوى ليصبح ذو رائحة كريهة. هل ترى نهاية فن

المطبخ؟ هل ترى نتيجة سحر الطعام المطيب بالبهارات ؟ اطلب الخبز لتسد حاجة العيش، فإن الطبيعة فرضت عليك الخبز ضرورة لأجل جسدك. وما عدا ذلك مما ابتكره هؤلاء الذين يعشقون الملذات هو ثمرة من الشوك الذى نبت بالقرب من الحب النافع لصاحب البيت هو القمح. ومن القمح يصنع الخبز. وإنما الملذات فهى الشوك الذى بذره العدو قرب القمح. ولكن عندما يهمل الناس خدمة الطبيعة بما هو ضرورى، عند ذلك "يختنقون" بالفعل، كما كتب الكتاب المقدس(١)، وذلك بسبب هموم الحياة الفانية ويظلون فى تخلفهم الروحى لأن الروح تبقى منشغلة بذلك.

اكتف بما هو ضرورى

٥ ـ إنى أعتقد أيضاً أن موسى قد علمنا شيئاً مشابهاً بواسطة الرموز، عندما أظهر الحية لحواء وهى تنصحها بتذوق الملذات. ويقولون أن هذا الحيوان، أى الحية لا يمكن سحبه بسهولة من قبل هؤلاء الذين يسحبونه من ذيله لإخراجه من جحره الذى دخل إليه من رأسه، ذلك

---

(١) أنظر لوقا ٨: ١٤

لأن حراشف ظهره تقاوم طبعاً قوة هؤلاء الذين سحبونه. وبينما يكون دخوله سهلاً وهو يتحرك نحو الأمام لأن الحراشف تنزلق بسبب سطحها الأملس، فإن خروجه يكون مستحيلاً لأن الحراشف تعرقله. إني أعتقد أن هذا المثال يدل على أنه يجب أن نحذر من الملذات عندما تدخل وتنسل إلى أعماق الروح، وأن نغلق بإحكام شديد مفاصل الحياة. لأنه هكذا ستبقى حياة الإنسان نقيه من أى اختلاط من الحيوانات. ولكن عندما تجد أفعى الملذات مدخلاً لتنسل منه وتعشش فى داخلنا لحظة بدء أى نشاذ فى الحياة المتناغمة، سيكون عند ذلك من الصعب علينا أن نطردها من زوايا العقل، وذلك بسبب حراشفها. وعندما تسمع كلمة حراشف فلتتذكر فى عقلك فى مثالنا هذا أشكال الملذات المختلفة. ذلك لأن الرغبة تجاه الملذات هى بشكل عام عبارة عن حيوان. لكن أشكال الملذات المختلفة التى تختلط بحياة الإنسان مستخدمة الأحاسيس لهذا الهدف، هى تكون الحراشف التى تغطى جسم الحية. وهذه الحراشف مليئة بنقاط سوداء بسبب تنوع الرغبات. وبالتالى فإذا تجنبت العيش بجوار الحيوان فانتبه إلى رأسه، أى إلى الإصابة الشريرة الأولى. هذا هو مغزى كلام الرب : "هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه"

(تكوين٣: ١٥). لا تترك ممراً للزاحف الذى يزحف متوجهاً إلى الأعماق وهو يحمل معه كل مرافقيه منذ اللحظة الأولى.

اكتف بما هو ضرورى. واتخذ لك من سد الحاجات بما هو موجود مقياساً للعناية بالأمور الحياتية. وإذا حدثك ناصح حواء الشرير عن حسنالمظهر وطيب الطعم، وأخذت تبحث بدلاً من الخبز عن ذلك النوع من البهار، والطعام المطبوخ بالتوابل، فإنك ستصل بعد ذلك إلى الحد الذى سترغب فيه أشياء تخرج عن نطاق الضرورى وسترى الأفعى بعد ذلك وهى تنتقل بشكل غير عادى إلى الطمع. لأنها بعد أن زحفت من الغذاء الضرورى إلى الطعام المطبوخ بالتوابل، ستتحول أيضاً إلى ذلك الذى يظهر بمظهر يسر الأعين. ستطلب آنية نفيسة، وخدماً، وسرائر من فضة، وفراشاً مريحاً وأغطية رقيقة مرصعة بالذهب، ومقاعد وثيرة، وقواعد بأرجل ثلاثة، وقدور، وأوانى فخارية، وكئوس من قرون الحيوانات، وفراشئ، وقنوات الخمر، وأوعية لغسل الأيدى، ومصابيح، ومباخر، وغير ما شابه ذلك. لهذا السبب تتسلل رغبات الطمع، فمن أجل أن يكون هناك سبيل لامتلاك كل ذلك كانت هناك الحاجة للمال الذى به يحصل المرء على كل ما يطلبه. ولكن يجب أن يبكى

فلان، وأن يحزن القريب، وأن يصاب الكثيرون بالتعاسة عندما يحرمون مما لهم، من أجل عظمة رونق ما يعرض من طعام لإرضاء الواحد، وعندما تحس الأفعى بالرضى بكل ذلك وتشبع كل رغباتها، تزحف بعد شيعها فى وحل الرغبات الإباحية. وهذه هى أسفل درجات الشرور الإنسانية.

فلكى لا يحدث شئ من ذلك يقيد الرب الحياة بحدود بالحصول على الخبز قائلاً لك أن تطلب الطعام الذى يُطبخ من أجلك من قبل الطبيعة ذاتها. وهذا هو بالدرجة الأولى الضمير النقى الصالح الذى يحلى الخبز الذى تحصل عليه وتأكل بإتباعك الوسائل العادلة. فإذا رغبت تحلية ذوق بلعومك فليكن طعامك ما هو محدود، ولا تضف شبعاً على شبع، ولا تقطع بالخمر شهيتك. وابذل جهدك أولاً فى اتباع الوصايا الإلهية قبل أن تأكل طعامك. "بعرق وجهك تأكل خبزاً" (تكوين ٣ : ١٩).

أرأيت كيف حدد الرب فى البدء طريقة الطبخ.

غذاؤنا حقنا من تعبنا :

٦ ـ كفاك أن تتعب فكرك بالإهتمام بما يزيد عن هذه الضرورة. أو بالأحرى يجب أن تعطى نفسك واهتمامك لضرورات الخبز من أجل أن تقول لله الذى يخرج الخبز من الأرض، ويطعم الغربان، ويقدم الأكل لكل كائن من لحم، ويفتح يده فيملأ بالعطايا كل كائن حي : منك أنت يارب، أعطيت لى الحياة. ومنك أنت لتعطى لى طريقة الحياة. أعطنى أنت الخبز. أى ليكن غذائى حقى من تعبى. ذلك لأن الله هو الحق والعدل، ومن وجد غذائه بدافع الطمع لن يكسب خبزه من الله. أنت نفسك هو رب الصلاة. فإذا لم يكن الكسب من أملاك الغير، وإذا كان الرزق لم يأت من دموع المظلومين، وإذا لم يكن أحد قد جاع لكى تشبع أنت، وإذا لم يكن أحد تضايق من أجل راحتك أنت، فإن هذا الخبز بالفعل هو خبز من الله، وثمرة الحق، وسنبلة السلام النقية الصافية، التى ليس فيها بذور شوك. ولكن إذا كنت تفلح أراضى الغير، وتسعى وراء الظلم، وتملك كل ما تملكه ظلماً وبدفاتر حسابات مسروقة، ثم تقول لله : "أعطنى الخبز"، فعند ذلك فإن شخصاً آخر سيسمع صوتك وليس الله. ذلك لأن ثمرة الظلم يحملها من يكون

معارضاً للطبيعة الإلهية، وذلك هو الشرير. وكل من كان عادلاً واتبع الحق فهو يتقبل الخبز من الله. أما الذى يزرع الباطل والظلم فهو يأكل من ذلك الذى يشجع على الظلم والباطل. إذن فمن خلال فحصك لضميرك اطلب من الله خبزك وآمن بأنه لا توجد علاقة تربط بين المسيح والشيطان. وكذلك فإنك عندما تقدم هدية حصلت عليها بطرق غير سوية، فلتعلم أن هديتك تلك هى مقايضة كلب وأجر بغى. وأما إذا أتتك الشهامة، فأردت أيضاً أن تقدم هدايا أغلى ثمناً، فأنت ستسمع النبى الذى أصابه القرف من تقديم الهدايا المماثلة يقول : "لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب. إتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر" ويقول : "البخور هى مكرهة لى" (أشعياء ١ : ١١ – ١٢) . وفى عبارة أخرى بحسب الله أجر من يضحى بعجل كأجر ذلك الذى يقتل كلباً (مسعوراً) إذن، فأنت إذا كسبت الخبز من الرب، أى من جهدك الحق، عندئذ يمكنك أيضاً أن تقدم له من ثمار الحق.

لماذا نهتم بالغد ؟

٧ ـ حسنة هى إضافة كلمة "اليوم" لأنه يقول" خبزنا كفافنا أعطنا اليوم". وهذه العبارة لها تعاليم أخرى من أجل أن تتعلم بصلواتك أن حياة الإنسان مؤقتة. ولا يملك كل واحد منا سوى حاضره، بينما يبقى ما نأمله فى المستقبل مجهولاً، لأننا لا نعلم ماذا سيجلبه لنا الغد. لماذا إذن نتعب أنفسنا بالأمور المستقبلية ؟ فهو يقول : "يكفى اليوم شره" (متى ٦ : ٣٤). وبقوله "شر" يعنى العناء، فلماذا نهتم بالغد؟ لذلك فإنه بما يذكر عن اليوم يمنعك من الإهتمام بالغد. إنه كما لو كان يقول : ذلك الذى يهبك يومك، يعطيك أيضاً كفافك يومك. من هو الذى يشرق الشمس؟ من يقشع ظلام الليل؟ من يريك الشعاع المنير؟ من يدير السماء لكى يكون الجسم المنير، أى الشمس والقمر، موجوداً فوق الأرض؟ هل يحتاج ذلك الذى أعطاك هذه الأشياء العظيمة إلى تعاونك من أجل تغطية ما يحتاج إليه جسدك؟ ما هو الجهد الذى تبذله الحيوانات غير العاقلة للمحافظة على حياتها؟ أية أراض زراعية تملكها الغربان؟ أية مخازن تملكها النسور؟ أليس هو ذلك الواحد الذى يهب الحياة بنفسه للجميع، ألا وهو الله الذى بإرادته تم المحافظة على كل

شيء؟ من جهة أخرى فإن البقرة والحمار أو أى حيوان لا عقل فيه قد تعلم لوحده الدرس من الطبيعة، فيعيش حاضره بشكل حسن، أما ما يتعلق بالمستقبل فلا يهتم به أبداً.

وعلى العكس من ذلك، فهل نحن العاقلين نحتاج إلى من نستشيره كى ندرك أن حياة الجسد حياة فاسدة ومؤقتة؟ ألسنا نتعلم درساً من مصاب الغير؟ ألا نفكر بتعقل بما يتعلق بحياتنا نحن؟ ماذا كانت فائدة ذلك الغنى المتهور من العناية الكبيرة التى بذلها فعاش ملاحقاً الآمال غير الأكيدة، فهدم، وبنى، وجمع، وتمتع، وحبس آماله الكاذبة لسنوات طويلة ضمن جدران مستودعاته؟ أما كانت ليلة واحدة فقط كافية لإثبات كون أن جميع أحلامه كانت أحلاماً بلهاء، وأنه كان قد استعد لها بدون تفكير؟ إن حياة الجسد هى ملك للحاضر فقط، بينما الحياة التى نتوخاها هى ملك الروح. لكن الإنسان بتهوره يخطىء فيما يتعلق بكل منهما، فيطيل حياة الجسد بالآمال، بينما يجر حياة الروح وراء ملذات الحاضر. لذلك فإن الروح تتغير بالضرورة بسبب الأمل الواقعى الموجود، وذلك بسبب انشغالها بما هو ظاهرى. ولأنها تتركز فى آمالها على المتغيرات، فهى لا تستطيع الإمساك بالحاضر، ولا تستطيع تأمين

المستقبل. فلنعرف إذن، بهذه النصيحة، ماذا علينا من جهة أن نطلبه لأجل يومنا هذا، ومن جهة أخرى ماذا يجب أن نطلبه من أجل الغد. إن الخبز هو ما نحتاج إليه اليوم. وملكوت السماوات هو من ضمن الخيرات التى نأملها. إذن فهو بقوله "الخبز" يعنى كل الحاجات المادية. وإن طلبنا الماديات فمن الواضح أن فكر المصلي يكون مشغولاً بتأمين حاجات اليوم. ولكن إن طلبنا شيئاً من خيرات الروح فمن الواضح أن الصلاة تتطلع إلى ما هو أبدى ولا نهائى. إلى ذلك يدعو المسيح بالذات أولئك الذين يصلون أن يتطلعوا بصلواتهم. ولأنه مع الحاجة الكبرى تسد الحاجة الصغرى، لذلك فهو يقول لنا : "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" (متى ٦ : ٣٣) بالمسيح يسوع ربنا، الذى له المجد والقوة إلى دهر الداهرين، آمين.

الجزء الخامس

«واترك لنا ما علينا، كما نترك نحن ...»

حاكم نفسك بنفسك :

١ ـ لقد تقدم الكلام ليصل إلى تلك النقطة الفاصلة للفضيلة. ذلك لأن الرب يصف، بكلمات الصلاة، الشخص المدعو للصلاة إلى الله. وهذا الشخص إذن لن يكون بالإمكان تمييزه ضمن نطاق الطبيعة البشرية، وإنما سيكون مستحقاً لذلك أمام الله بنفسه من خلال الفضيلة. وهذا الاستحقاق يصل إلى تلك الدرجة بحيث يظهر ذلك الشخص بمظهر شخص آخر من خلال كونه يقوم بتلك الأفعال التى تنتمى إلى خصائص الله. ذلك لأن مغفرة الخطايا هى من خصائص الله المحضة. لأنه مكتوب : "من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده" (لوقا ٥ : ٢١) . وبالتالى فإذا تشبه أحد فى حياته بخصائص الطبيعة الإلهية، فإنه يصبح بطريقة ما ذلك الذى دل عليه ما تشبه به. ماذا يعلمنا الرب إذن ؟ أولاً، أن نكتسب الجرأة بأعمالنا، بعد ذلك نطلب العفو على الخطايا التى ارتكبناها. لأن هذا ما يقوله لنا بدقة قائلاً : من يتقرب من الصديق فليكن صديقاً، ومن يتقرب من الصالح فليكن صالحاً، ون يتقرب من المحق فليكن محقاً، ومن يتقرب من فاعل الخير

والمحسن فليكن محسناً. وبالمثل وفى جميع الأحوال دائماً، فمن يتقرب من صاحب الخير والمسامح وناقل الصفات الحسنة. إلى الآخرين ومعطى الرحمة إلى كل إنسان، وكل ما هو متعلق بصفات الله، ويجب أن يتساوى بشكل إرادى بكل صفة من صفات الله. وهكذا فليكتسب لنفسه شجاعة الصلاة. إذن، ليس بالإمكان أن يقترب الشرير من الصالح، ولا يستطيع ذلك الذى يتمرغ فى وحل الأفكار الرجسة أن تكون له علاقة بمن هو نقى وطاهر. وهكذا يعزل صاحب القلب القاسى نفسه عن صدقة الله عندما يتقدم من الله. وبالتالى فمن يمارس القساوة على من له عليه بسبب دينه المستحق، يحرم نفسه بتصرفه هذا من الصدقة الإلهية. إذ أنه ما هى العلاقة بين الصدقة والقساوة؟ وبين المحبة والضراوة؟ والأمر ينطبق أيضاً من جهة أخرى على كل الأشياء التى يمكن إدراكها من خلال الاختلاف بينها وبين الشر حيث أن هذا الاختلاف لا يمكن تجاوزه. وكل من امتلأ بواحدة من هذه الصفات يكون بالتأكيد منعزلاً عن الصفة المعاكسة. هذا يعنى أن من وصل إلى الموت لا يكون موجوداً فى الحياة. ومن يشارك فى الحياة يكون مفصولاً عن الموت. هكذا فإن من يقترب من صدقة الله يجب أن يكون مجرداً من كل قسوة. ومن يكون بعيداً عن كل ما يعنيه الشر يصبح بطريقة ما إلهاً بسلوكه هذا، لأنه حقق لنفسه ذلك الذى يراه المنطق محيطاً

بالطبيعة الإلهية. ألست ترى الرب إلى أى ارتفاع كبير يرفع بكلمات الصلاة هؤلاء الذين يطيعونه؟ إنه يحول الطبيعة الإنسانية بطريقة ما فيساويها بأكبر قدر بما هو أكثر ألوهية. أنه يشرع أن كل هؤلاء الذين يقتربون من الله يصبحون آلهة. فهو يقول : لماذا تتقرب من الله وأنت كالعبد مرتعشاً من الخوف يؤنبك ضميرك؟ لماذا تحرم نفسك من الشجاعة التى ترافق حرية النفس، تلك الشجاعة التى زرعت منذ البدء أصلاً فى الطبيعة البشرية؟ لماذا تمدح بالأقوال ذلك الذى لا يرف المداعبة؟ لماذا توجه كلمات المداعبة والاهتمام إلى ذلك الذى يهتم بالأفعال؟ أنت تستطيع أن يكون فى متناولك كل خير يأتى من الله وبحرية تامة. كن أنت بنفسك حكماً على نفسك. احكم على نفسك بالبراءة. أتطلب من الله مغفرة خطاياك؟ اغفر أنت والله يحيى ذلك. لأن القرار تجاه أخيك الإنسان يحسب بالتساوى، أياً كان هذا القرار. أنت السيد لأن كل ما تحسبه لنفسك ستحسبه لك العدالة الإلهية أيضاً.

قلد عبدك، أنت أيها الرب :

٢ ـ لكن هل يستطيع أحد أن يظهر حسناً كل عظمة المطالب الإلهية؟ ذلك لأن الجملة تتجاوز كثيراً معنى الكلمات "اغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن أيضاً للمسيئين إلينا". إن ما يدور بخلدى حول

هذا الموضوع يحتاج من جهة، للشجاعة لمجرد التفكير فيه، ولكن يحتاج لشجاعة أيضاً لكى أكشف عن مضمون تفكيرى بكلمات. فما هو هذا الذى يقوله؟ إن الله يعرض نفسه كمثال لكى يحتذى به كل من يسعى وراء الخير. لقد كتب الرسول يقول :

"كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح" (١ كو ١١ : ١). مرة أخرى يريد الرب هكذا أن تصير إرادتك مثالاً عن الخير أمام الله. أى أن الأمر تنعكس بطريقة ما. فكما أن الخير يتحقق من قبلنا عن طريق تشبهنا لله، هكذا نأمل أن يحذو الله حذونا عندما ننجح فى تحقيق أحد الخيرات، حتى تكون لديك أنت أيضاً الشجاعة أن تقول لله : كما فعلت أنا، أفعل أنت أيضاً. قلد عبدك الفقير الجائع، أنت أيها الرب ملك كل شئ. لقد غفرت أنا الخطايا، فأنت أيضاً لا تنبذ ذلك الذى يترجاك. رددت من كان لى عليه فعاد فرحاً، فليفرح من لك عليه. لا تترك المدين لك أكثر تعاسة من المدين لى. فليفرح كلينا بالتساوى الدائنين الطالبين بإعادة الديون. وليصادق على كلينا نفس المسامحة تجاه المدينين، ولى ولك أيضا. فلان مدين لى، وأما مدين لك. أتمنى أن تكون معاملتى له هى نفس المعاملة التى ستقابلنى أنت بها. حللت أنا الدين، فحل أنت. تركت أنا، فأترك أنت. لقد رحمت أخى الإنسان كثيراً قلد عبدك، أنت أيها الرب فى الإحسان. لكن ربما تقول أن

الأخطاء التى ارتكبتها أنا تجاهك هى أعظم من تلك التى ارتكبها هو تجاهى. إنى أعترف بذلك. لكن ليكن فى حسابك الآتى : كم أنت أعظم فى كل خيراتك. انك عادل، فأعطنا رحمتك بما يتناسب مع قوتك العظيمة، نحن اللذين أخطأنا. إنى أظهرت إحساناً قليلاً لأن طبيعتى ليس لديها أكثر من ذلك. ولكن أنت أظهر منه ما شئت. إن القوة لا تمنع الكرم. لكن مغزى الصلاة الذى يهمنا سندرك أنه أكثر إنسانية لو كان لدينا بعض التوجيه الذى يتضمن أعمق المعانى المتعلقة بالحياة الصالحة. لنفحص إذن ما هى الأمور التى يكون الإنسان فيها مديناً. وبعد ذلك ما هى الأمور التى تقع ضمن صلاحياتنا للمسامحة. لأنه إذا عرفنا كل ذلك، ربما استطعنا بدرجة ما أن ندرك عظمة الصلاح الإلهى. وبالتالى فإننا من هذه النقطة سنبدأ تعداد الخطايا البشرية تجاه الله.

تعداد أهم ما تدين عليه الطبيعة البشرية :

٣ ـ أولاً، يجب أن يعاقب الإنسان من قبل الله لأنه ابتعد عن الخالق، وانحاز إلى الخصم بعد أن هرب من سيده الطبيعى، فأصبح عاصياً.

وثانياً، لأنه استبدل حريته الذاتية بالعبودية الشريرة فى الخطيئة، وفضل أن يتحمل طغيان القوة التى تفسد كل شئ، على أن يكون بقرب الله. فأن يفضل المرء أن لا يتطلع إلى جمال الخالق، بل أن يتحول بنظره إلى بشاة الخطيئة، من سيعتبر فعله هذا من صغائر الشرور؟ ومن جهة أخرى فإن تجاهل الخيرات الإلهية وتفضيل الوقوع فى فخ الشرير فى أية مرتبة من مراتب العقوبات يمكن وضعه؟ كما أن احتقار الصورة الإلهية وفساد الهيئة الإلهية التى صنعت فى داخلنا منذ بدء التكوين وفقدان الدرهم ومغادرة المائدة الأبوية والتعود على حياة الخنازير الدنسة وتبذير الثروة الشريفة (لو ١٥ : ٨ - ٩، ١٥ : ١٣ الخ) وكل ما شابه ذلك من الجنح التى يمكن للمرء أن يدركها بمساعدة الكتاب المقدس والمنطق الإنسانى، أى كلام يستطيع تعدادها جميعاً؟

فإذن لأن الجنس الإنسانى محكوم عليه أن يعاقب على جنح مشابهة لتلك من الله، لهذا فأنا أعتقد أن الكلمة الإلهية تعلمنا بتعاليم الصلاة بأن لا نجرؤ أبداً خلال التحدث مع الله كما لو أننا لا نشكو من تأنيب الضمير، حتى ولو كان المرء مبتعداً عن الجنح البشرية. ولكن ربما كان هناك أحد ما، قد رتب حياته وفقاً للوصايا، مثل ذلك الغنى الشاب الذى ذكره الإنجيل، وهو يستطيع أن يتفاخر كذلك بحياته، فيقول لله : "لقد اهتممت بكل تلك الأمور منذ سنوات شبابى"، ويضيف أيضاً :

"ولأننى لم أخرق أبداً وصاياك، فلا يليق بى أن أطلب مغفرة الخطايا، كما يليق فقط بأولئك اللذين أخطئوا". وسيدعى أن تلك العبارة يجب أن يقولها ذلك الذى تلوث بالبغاء، أو ذلك الذى عبد الأصنام بسبب جشعه. إن طلب المغفرة لهؤلاء ضرورى، وبشكل عام لكل واحد قد لوث ضمير روحه بإحدى الخطايا. فلكل هؤلاء من المستحسن والمفضل أن يلجئوا إلى رحمة الله. فلو كان بالطبع ذلك النبى العظيم إيليا، أو يوحنا المعمدان، الذى جاء محملاً بروح وقوة إيليا، أكبر من ولدوا من امرأة، أو بطرس، أو بولس، أو شخص آخر فمن يعرف لفضيلتهم فى الكتاب المقدس، فما الفائدة من تلك الكلمات التى يطلب بها مغفرة الخطايا؟ لكن شخصاً كهذا ألا يكون مثقلاً بأى خطية؟ ولكن من يفكر هكذا يتجرأ كالفريسى فى ذلك المثل، الذى لم يكن يعرف من يكون هو بالطبيعة. لأنه لو كان يعرف أنه إنسان، لكان قد علم من الكتاب المقدس أن الطبيعة البشرية ليست طاهرة. لأنه مكتوب : "ليس من الممكن أن يكون حتى ولو يوم واحد من أيام حياة الإنسان بدون نجس" (أيوب ١٤ : ٤ - ٥).

ولكى لا تتولد أى فكرة مشابهة فى نفس من يقترب من الله بالصلاة، فإن الرب يشجعنا على أن نتجاهل كل ما حققناه من منجزات، وأن نتذكر دائماً الدّين الذى على الطبيعة بشكل عام. وبهذا

الدين يكون مشاركاً هو أيضاً، طالما يشارك فى تلك الطبيعة بالجزء الذى يخصه. فليطلب من القاضى راجياً أن يعطيه العفو على الخطايا. لأن آدم يعيش فينا كلنا نحن البشر فنرى حول أنفسنا لباس الجلد، وأوراق الحياة الجسدية هذه قد قمنا بخياطتها ببعضنا بطريقة سيئة لأنفسنا عندما تعرينا من ملابسنا الرائعة. وأعنى بذلك المتع والأمجاد والشرف المؤقت وملذات الجسد التى تموت بسرعة، عندما لبسناها فيما بعد بدلاً من الملابس الإلهية. وسيستمر ذلك طالما بقينا متمسكين بحياة الجسد التى حكم علينا أن نعيشها لفترة مؤقتة. ولكننا عندما نتوجه نحو الشرق، وهذا بالطبع ليس لأن هناك فقط يظهر الله لنا، طالما أن الموجود فى كل مكان لا يظهر بشكل أوضح فى نقطة معينة، فهو يملأ الكون بالتساوى، وإنما لأن فى الشرق يوجد وطننا الأول، وأعنى بذلك مسكننا الأول فى الفردوس الذى منه سقطنا. لأنه مكتوب فى الكتاب المقدس : "غرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً" (تك ٢ : ٨). إذن، عندما نتوجه نحو الشرق ونستحضر فى ذاكرتنا وتفكيرنا النقى من البقاع الشرقية المضيئة الطوباوية، فمن الطبيعى أن نلفظ نحن هذا القول، نحن الذين نعيش تحت هذا الظل الردئ بهذه الحياة. ذلك لأننا ابتعدنا عن عينى الله واستسلمنا بأنفسنا إلى الحية التى تأكل وتزحف على صدرها وبطنها فوق سطح الأرض. إنها تزحف وتنصحنا أن نفعل الشئ نفسه،

أى أن نهتم بالملذات الأرضية وأن نزحف بقلبنا وأفكارنا فوق الأشياء السافلة الرخيصة، وأن نزحف على بطننا، أى نهتم بحياة الملذات. فطالما نحن أيضاً نعيش فى كل هذه الأشياء كذلك الشاب الغنى فى المثل، عندما نعود لنفسنا كما فعل هو بعد كل عذابه الذى مر به وهو يرعى الخنازير، فنفكر بالآب السماوى، فإننا حقاً سنقول نفس الكلمات : "اغفر لنا خطايانا". حتى ولو كان الواحد منا موسى أو صموئيل أو أى شخص آخر مشهور بحياته الفاضلة فإنه يعتبر هذا الكلام غير متناسب مع نفسه، طالما أنه إنسان. لأن كل من يشارك بطبيعة آدم، فهو يشارك بالتأكيد فى المنفى.

شهادة الضمير :

٤ ـ ولكن لأنه كما يقول الرسول، نحن جميعاً نموت فى شخص آدم، فمن الطبيعى أن يمس ما قاله آدم عن التوبة على شفاه كل من يموتون معه. هكذا بحيث أنه عندما ننال مغفرة الخطايا، فإننا مرة أخرى نخلص بنعمة الرب كما يقول الرسول. ولقد تحدثنا عن ذلك من جهة، كما لوتحدث المرء متكلماً بطريقة أبسط عن الموضوع المطروح أمامنا. لكنه إذا أراد أن يبحث عن المغزى الحقيقى للعبارة، فأنا لا أعتقد أنه يحتاج إلى مساعدتى لكى يجد معناها للنسل البشرى بأكمله. لأن

الضمير يستطيع بسبب التجارب التى يعيشها كل شخص أن يجعل من الضرورى طلب الرحمة. ومن جهة أخرى فلأن حياتنا الأرضية تدور بوسائل عديدة، إن كان بواسطة الروح والعقل من جهة، أو بواسطة أحاسيس الجسم، فمن الصعب أو ربما من شبه المستحيل، ألا تساق إلى المعاصى برفقة أية نزوة من النزوات. وأعنى بذلك الآتى : إن ملذات الحياة الجسدية تتوزع على أحاسيسنا، بينما توجد ملذات الحياة الروحية فى متناول الإرادة والعقل. فمن هو ذلك الإنسان ذو العقل الراجح لتلك الدرجة لكى يستطيع أن يتجنب بكلا الاثنين أى بالجسد والروح شراك الشر؟ من لم يخطئ بعينه؟ من هو البرئ بالسمع؟ من بقى بعيداً عن ملذات البلعوم الضارية؟ من كان نقياً فى اللمس ولم يمسك بأشياء تقود إلى المعاصى؟ من يتجاهل المثل الذى يذكره الكتاب المقدس قائلاً : "لأن الموت طلع إلى كوانا" (أرميا ٩ : ٢١). ويعنى بذلك الأحاسيس التى بعملها تندفع الروح نحو الخارج فتهتم بما تشاء. وهذه ما يدعوها الكتاب المقدس الكوة التى تفتح الطريق لدخول الموت كما يقول الرب. حقيقة فإن العين فى العديد من الأحيان تصبح باباً تدخل منه شتى أشكال الموت. فمثلاً عندما يرى أحد ما، وهو غاضب، فهو يثور بنفس الاندفاع، أو عندما يرى ذلك الذى تعيش حياة رغيدة دون أن يستحق تلك الحياة فيحرقه الغيظ والحسد، أو عندما يرى ذلك

الذى يتفاخر فينحط لدرجة أن يكرهه، أو عندما يرى شخصاً ذو لون جسد وجسم ذو قوام جميل فتسيطر عليه الرغبة لما أعجبه. وبنفس الطريقة تفتح الأذن النوافذ للموت بما تسمعه، وتتلقى داخل الروح العديد من النزوات، كالخوف، والحزن، والغضب، واللذة، والرغبات السيئة، وصيحات الضحك وما شابه ذلك. ولكن يستطيع المرء أن يسمى لذة الطعم أماً لكل السيئات. لأنه من لا يجهل أن الإهتمام بما يتناوله الحلق هو أساس كل خطايا الحياة تقريباً؟ فمن لذة التذوق تتبع المتعة، والسكر، والشراهة، والخروج عن قواعد التغذية، والبذخ، والإشباع، والتسلية، والانحطاط الحيوانى المفرط من النزوات الحقيرة. وكذلك فإن أحاسيس اللمس هى ذروة كل الخطايا المرتكبة. ذلك لأن كل ما يبتكره من يسعوت وراء ملذات الجسد هى أمراض لحاسة اللمس التى إذا وصفتها كل واحدة على حدة سأطيل الحديث من جهة، كما أنه ليس من المفروض أن أخلط فى الأحاديث الشريفة الكلام عن كل معاصى اللمس.

من يستطيع الإدعاء بأنه ذو قلب نقى ؟

٥ ـ ولكن أية كلمات تستطيع تعداد كل الخطايا التى يتم ارتكابها بالنفس وبالإرادة ؟ فالرب يقول أن الأفكار الشريرة تنطلق من داخل الإنسان، كما أنه يضيف فيما بعد جدول كل الأفكار التى تنجسنا.

وبالتالى فإذا كانت شباك الخطايا مفروشة لنا فى كل مكان، أى بكل أعضاء حواسنا، وبكل نبض روحى يتحرك فى القلب، فمن يستطيع الإدعاء حسب قول سليمان الحكيم بأنه ذو قلب نقى ؟ (أمثال ٢٠ : ٩). من هو نقى من النجاسة ؟ مثلما يؤكد لنا ذلك أيوب (أيوب ٤ : ١٧). والنجاسة بالنسبة للنقاء الروحى هى اللذة التى تمتزج بالحياة الإنسانية بطرق متعددة ومن نقاط كثيرة، كما تمتزج بالروح والجسد والأفكار والأحاسيس والتحركات والإرادة وبأعمال الجسد. إذن من يكون طاهراً فى روحه من هذه النجاسة ؟ من هو الذى لم تضربه الغطرسة؟ من لم يهزم أمام الغرور؟ من لم تزعزعه يد الإثم ؟ من لم يجر وراء الشر؟ من لم يتنجس من نظرة متهورة أو من مسمع رزيل ومن لم يهتم بالنكهة؟؟ فبقى القلب عاطلاً من الحركات الفانية. إذن فإن أعمال الإنسان أبشع حتى من أشد الأشياء ضراوة. وكل من يشارك فى الطبيعة فهو يشارك بالضرورة وبشكل كامل بخطايا الطبيعة.

غير مسموع من الله حتى ولو وصل إلى آذانه إذا لم يكن ضميرنا متفقاً مع صوتنا فى طلب الرحمة. لأن من يعترف أن عمل الخير هو من الله، هل سيلجأ إلى المعصية المتنافية معه. إنه مضطر بأن يثبت آراءه عن الخير بأعماله. وذلك لكى لا يقول له الله : أيها الطبيب اشفى نفسك أولاً. إنك ترجونى أن أكون صديقاً بينما أنت لم تكن كذلك

مع الآخرين. إنك تطلب مغفرة الخطايا. لكن كم كنت أنت قاسياً مع مدينك؟ تصلي يمحى سجل خطاياك بينما تحافظ أنت على سجلات ديون مدينتك. تطلب أن تعفى من ديونك بينما أنت تزيد ديون غيرك بالربا. إن من لك عليه موجود فى السجن وأنت توجد فى المعبد. ذلك يتعذب بسبب ديونه وأنت تطلب أن تمحى ديونك. إن صلاتك ليست مسموعة لأن صوت ذلك الذى يتألم أقوى منها. فإذا حللت الدين الجسدى عند ذلك ستحل قيود روحك. إذا سامحت عندئذ ستسامح. إنك تحاكم نفسك، ولنفسك تشرع، بالنوايا التى ستكنها لمن هو دونك، وذلك عندما تحصل لنفسك على رضى الله.

القروش والملايين :

٦ ـ إن شيئاً مشابهاً لذلك يعلمنا الرب إياه عندما يعرض لنا تلك الحقيقة بالمثل (متى ١٨ : ٢٣ - ٣٥) أن ملكاً شديداً جلس على عرشه ودعا عبيدهم ليحاسبهم، وطلب من كل واحد منهم أن يعرف كيف يتصرف بما أؤتمن عليه. وكان الأول الذى سبق إليه مديوناً له قبدلاً من أن يعيد دينه، خر وسجد طالباً الرحمة فحصل عليها. لكنه فيما بعد كان قاسياً على أحد رفاقه من العبيد بسبب دين زهيد. وبقساوته على رفيقه جعل الملك يأمر المعذبين أن يطردوه من البيت

الملكى وأن يطيوا عقابه حتى يسدد دينه بالكامل. لأن الخطايا التى يرتكبها إخواننا تجاهنا تعادل دراهم قليلة إذا قورنت بخطايانا تجاه الله التى تعادل الملايين. إن الوقاحة التى يبديها شخص ما، أو شر العبد، أو الدعاية المغرضة التى تؤدى إلى الموت الجسدى هى بالتأكيد أعمال شريرة. وبعد ذلك فإنك أنت لكى تدافع عن نفسك تجاه تلك الأعمال تثور فيشتعل قلبك فتسعى بكل الوسائل إلى معاقبة هؤلاء اللذين أساءوا إليك. فلا تفكر أنه ليس من الطبيعى أن تغضب على العبد، ذلك لأن الطبيعة لم تفضل البشر ما بين عبد وسيد وإنما ذلك فعله الظلم. ذلك لأن ضابط الكل قد شرع أن يخضع للإنسان فقط ما هو من الطبيعة لا عقل له. فكما يقول النبى : "جعلت كل شئ تحت قدميه. الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر أيضاً وطيور السماء وسمك البحر" (مزمور ٨ : ٦ - ٧) وكل هذه يسميها عبيداً، بينما تقول النبوة أيضاً : "المنبت عشباً للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان" (مزمور ١٠٤ : ١٤) بينما زين الإنسان بنعمة الحرية، فهو بالتالى يكون مساوياً لك فى القيمة. فمن استعبد وفقاً للعادات أو تبعاً للقوانين فإنه لم يخلق منك ولا يعيش معك ولا تكون له قوى الجس والروح مأخوذة منك. فلماذا إذن تغضب هكذا منه لأن أحداً ما قد عبر عن امتعاضه، أو ابتع عنك، أو ربما أظهر لك الاحتقار؟ يجب عليك أن تنتبه لنفسك. ماذا كنت أنت بالنسبة للرب

الذى خلقك وجاء بك إلى الحياة بالولادة وجعلك شريكاً فى عجائب التكوين؟ يجعل الشمس تشرق لكى تتمتع أنت. يقدم لك كل ما فيالطبيعة لكى تعيش أنت. من الأرض والنار والماء والهواء. يقدم لك نعمة التفكير، وكذلك الأحاسيس لكى تدرك ما حولك، والحكمة لكى تميز الخير من الشر. هل تكون منضبطاً أمام سيد كهذا ولا تعارضه ؟ هل تخرج عن السلطة الأبوية؟ هل تهرب نحو الخطيئة؟ هل تفضل السلطة السيئة؟ عل تغادر وتترك بيت الرب خالياً إذا كان الأمر بيدك وأنت الذى قد تم وضعك فيه لكى تعمل وتخدم فيه، بل أنت تذهب بعيداً؟ وخطايا أخرى أهمل ذكرها، ألست ترتكبها؟ ألست تقول أو تفكر بتلك الأشياء الممنوعة التى بالرغم من ذلك فهى تحدث بشهادة الله الموجود فى كل مكان ويرى كل شئ ؟ وبعد ذلك، وأنت تعرف من تكون وأنت مدين بكل هذه الديون، ألست ترى أنه من الأهمية بمكان أن تتخلى عن مطالبتك من العبد رفيقك وأن تغض النظر عن بعض الأشياء التى فعلها بحقك؟ وبالنتيجة إذا كان علينا أن نترجى الله لكى يرحما ويغفر لنا، يجب أن ننمى فى ضميرنا الشجاعة. هكذا سنعرض حياتنا كمحام يؤيد صرخة رجائنا هذه وسنقول حقيقة أننا قد تركنا لمن لنا عليه.

الطعم والسنارة :

٧ ـ ماذا يقصد بهذه العبارة التى قالها المسيح ؟ أعتقد أنه من الضرورى ألا نترك ذلك أيضاً دون أن نفحصه، لأنه بمعرفتنا لمن نصلى إليه سنتلو الصلاة بالروح وليس بالشفاه. "لا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير" ما هى يا أخوة قوة هذه العبارة ؟ أعتقد أن الرب يعطى الشرير تسميات بطرق عديدة. فبحسب الاختلافات بين أعماله الشريرة يطلق عليه أسماء متعددة مثل الشيطان، بعلزبول، والمال، وسيد العالم، وسفاح البشر، والشرير، أبو الكذب، وما شابه ذلك. ربما تكون إذن إحدى التسميات التى يسمى بها هى "التجربة". إن افتراضنا هذا تؤكده طريقة صياغة الكلمات. لأنه عند قوله "لا تدخلنا فى تجربة"، فهو يضيف "لكن نجنا من الشرير"، لأن الشرير نفسه قد ذكر باسميه. فإذا كان بالضرورة من لم يدخل فى تجربة خارج الشرير، فإن من دخل فى تجربة، وكلمة شرير لها المعنى نفسه.

فماذا تطلبه منا إذن تعاليم هذه الصلاة ؟ الابتعاد عن كل ما يعتبر عظيماً بالمقاييس الدنيوية. لأنه كما يقول أيضاً إلى تلاميذه "العالم كله قد وضع فى الشرير" (١ يو ٥ : ١٩). وبالتالى فإن من يريد أن يبتعد عن الشرير يجب عليه بالضرورة الابتعاد عن العالم. لأن التجربة لا تستطيع

إيجاد الفرصة للإمساك بالروح إذا لم ترم الإهتمام بأمور العالم كما لو كان طعماً فى سنارة شريرة. وربما كان بالإمكان جعل المعنى أكثر فهماً بذكر أمثلة أخرى. فالبحر يصبح كثيراً من المرات خطراً بسبب العاصفة ولكن ليس بالنسبة لهؤلاء الذين يسكنون بعيداً عنه. إن الحرب رهيبة فقط لهؤلاء الذين يشاركون فى المعارك. والشخص الذى يكره مآسى الشرور التى تسببها الحرب يصلى لكى لا يتواجد فى حرب، ومن يخاف النار يصلى لكي لا يقع فيها. ومن يرتجف خوفاً من البحر يتمنى ألا يضطر للسفر فى البحر. وكذلك فإن الذى يخاف لقاء الشرير يتمنى ألا يقاد إليه. ولأنه كما قلنا من قبل أن الرب يقول أن العالم كله قد وضع فى الشرير، فإن الاهتمامات الدنيوية تخبئ فى داخلها أسباب التجربة، لذلك فإن الذى يتمنى بالخير أن ينجو من الشرير، فهو يطلب ويترجى أن يبقى بعيداً عن التجربة. لأنه لا أحد يبتلع السنارة إذا لم يلتهم الطعم بشراهة. ولكن لنقل نحن لله "لا تدخلنا فى تجربة" أى فى مساوئ الحياة" ولكن نجنا من الشرير "الذى توجد قوته فى هذا العالم. فلننجو منه بنعمة المسيح، لأنه له القوة والمجد مع الآب والروح القدس، الآن وكل أوان، وإلى دهو الداهرين، آمين.

الفهرس

صفحة

الـ ... تهذيب للمذنبين.
الـ ... تجعلنا نتمتع بعطايا الله الحاضرة
وتعطينا يقيناً بخيرات الدهر الآتى.
الصلاة حولت بطن الحوت إلى موضع لراحة يونان.
الصلاة هى التى أعادت حزقيال للحياة بعد أن
أشرف على الموت.
الصلاة هى التى حولت لهيب الأتون المشتعل إلى
نسيم بارد من أجل راحة الثلاث فتية

القديس غريغوريوس النيسى



صلاة (أبانا الذى) بجميع لغات العالم من (كنيسة أبانا الـ

مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا ـ القاهرة ت. وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤(٢٠٢) . ٥٧٧٧٤٤٨(٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢(٢٠٢) . ٥٧٨٢٩٣٢(٢٠٢)